الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف المسيلة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قـــــســـم الـــفلســـفـة

سؤال التجديد في علم الكلام الجديد
- عبد الجبار الرفاعي أنموذجا -

مذكرة مكمـلة من مقتضيات نيل شهادة الماستر في الفلسفة تخصص: فلسفة عامة

إعداد الطالب (ة) :
شيمـــاء قـدح

إشراف الأستاذ (ة) :
د. لصقع الربيع

السنة الجامعية:
2025/2024

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
University Mohamed Boudiaf of M'sila

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية
نيابة العمادة للدراسات والمسائل المرتبطة بالتكوين
الرقم: /2025

Faculty of Humanities and Social Sciences
Vice-Deanship of the College for Studies and
Student Issues

تصريح شرفي خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

انا الممضي (ة) اسفله :

السيد(ة): قدح شيماء

الصفة (طالب، استاذ باحث، باحث دائم): طالبة

الحامل لبطاقة التعريف الوطنية رقم: 203825403

الصادرة بتاريخ : عن دائرة : الحنانة

المسجل(ة) بكلية: علوم انسانية واجتماعية قسم: الفلسفة

تخصص: فلسفة عامة تحت رقم التسجيل: 35079591

والمكلف بانجاز اعمال بحث (مذكرة التخرج، مذكرة ماستر، مذكرة ماجستير، اطروحة دكتوراه).

عنوانها: سؤال التجديد في علم الكلام الجديد
عبد الجبار الرفاعي أنموذجا

اصرح بشرفي بانني التزم بالمعايير العلمية والمنهجية ومعايير الاخلاقيات المهنية والنزاهة الاكاديمية المطلوبة في انجاز البحث المذكور اعلاه

المسيلة في: 2025

امضاء المعني (ة):

المرجع: القرار الوزاري رقم: 933 المؤرخ في: 28-07-2016 المحدد للقواعد المتعلقة بالوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها.

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
University Mohamed Boudiaf of M'sila

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية
نيابة العمادة للدراسات والمستقبل المرتبطة بالطالب
Faculty of Humanities and Social Sciences
Vice Decanate of the College for Studies and
Student Ties

وثيقة ايداع مذكرة ماستر

الموضوع: سؤال التجديد في علم الكلام الجديد عند الجبار الرفاعي أنموذجا

إعداد الطلبة:

1- قدح شيماء رقم التسجيل:

2- — رقم التسجيل: —

القسم: الفلسفة **الشعبة:** فلسفة **التخصص** فلسفة عامة

إشراف: د/ الصديق الربيع **الرتبة:** أستاذ محاضر أ

أقر بأنني تابعت العمل المذكور أعلاه في جلسات إشرافية طيلة الموسم الجامعي: 2024-2025 وأسمح بإيداعه على مستوى إدارة القسم للمناقشة والتقييم.

موافقة وإمضاء الأستاذ(ة) المشرف(ة):

رئيس فريق الاختصاص

رئيس القسم

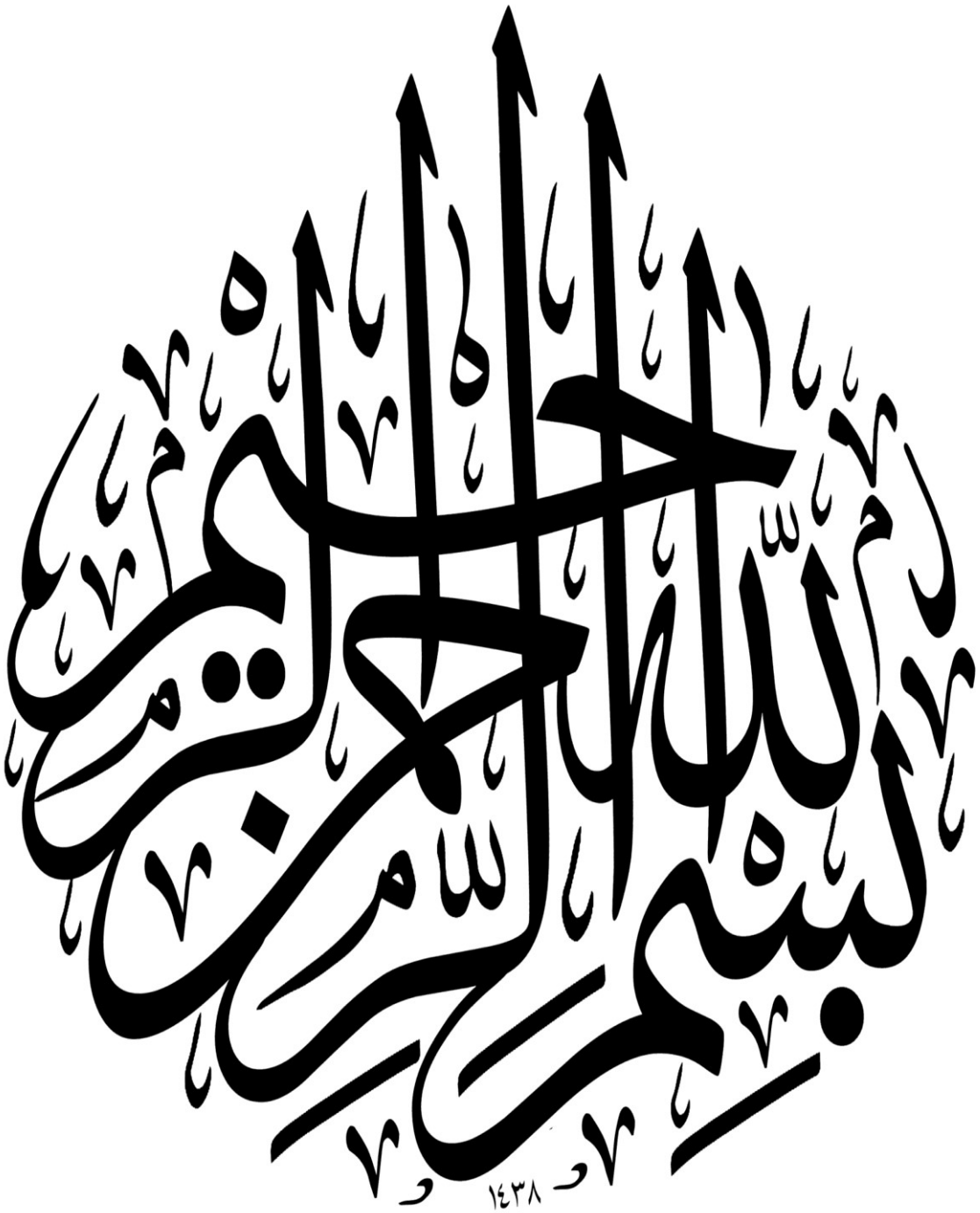
بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٣٨

شكر وعرفان

قال الله تعالى" :إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا"

آمنت بهذه الآية في كل لحظة ضيق، وكل مرة شعرت فيها أن الطريق أصبح معتماً ومغلقًا. واليوم، بعد رحلة طويلة من الكفاح والدموع والصبر، أقف على أعتاب الإنجاز... وأدركت أنني فعلتها، رغم كل ما مررت به .

أتوجّه بأسمى آيات الشكر والعرفان للأستاذ المشرف لصقع الربيع، على مجهوداته القيّمة، ووقوفه الدائم إلى جانبي، فكان لي أكثر من أستاذ... كان سندًا نفسيًا حقيقيًا، وكأنه أبٌ ثانٍ يفكر في مصلحتي وكأنني من أهله، فلم يبخل عليّ بدعمه ولا بتوجيهه، جزاه الله عني كل خير .

وكل الشكر والامتنان للأستاذ عبد النور خشعي، الإنسان الذي أعاد إليّ الثقة حين كنت على وشك الاستسلام، والذي فتح لي باب الأمل حين أوصدت كل الأبواب. هو من ساعدني لأدرس الفلسفة التي أحب، رغم كل العثرات. كنتَ خير رئيس قسم، وحين مددت يدي بحثًا عن دعم، وجدت فيك قلبًا رحيمًا ويدًا ممدودة بالصدق، فجزيل الشكر والامتنان لك من القلب .

وإلى أبي الغالي نصر الدين، يا قوتي وسندي، يا عيني الثالثة التي ترى لي ما لا أراه، شكرًا لكل ما قدمته لي، ولكل لحظة كنتَ فيها سندًا ودعاءً وصبرًا. علّمتني الحياة قبل أن أتعلم، وكنت القدوة التي أفتخر بها في كل مراحل دراستي. أحبك حبًا لا بعده حب، وأسأل الله أن يجزيك عني خير الجزاء .

ولا أنسى أساتذتي الكرام، كلٌّ باسمه ومقامه، شكرًا لكل كلمة وحرف غرستموه فيّ، لكل لحظة علم وتفهُّم واحتواء .

الإهداء

اللهم إن هذا الجهد ما كان ليرى النور لولا عونك وتوفيقك، فلك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت، ولك الحمد بعد الرضا .في طيّات هذه الصفحات، تختبئ دموع تعب، وأنّات سهر، ولحظات شكّ في النفس، وانكسارات خفية لم يشعر بها أحد... لكن، بعون الله، ثم بفضل قلوب أحبّتني واحتوتني، اجتزت الطريق .

إلى أبي، حبي الأول، وسندي الدائم، نصر الدين ...كل ما وصلت إليه اليوم هو بفضلك، أنت وحدك .لك وحدك الفضل بعد الله، ولك وحدك هذا الإنجاز، ولك وحدك هذه اللحظة التي حلمت بها لأراك فخورًا بي .كنتَ لي حياة كاملة، لا ضلعاً فقط... كنت قوتي حين ضعفت، وراحتي حين تعبت، وظهري حين تهت .وهبتني كل ما أحتاجه دون أن أطلب، كنت السند الذي لا يميل، والظل الذي لا يغيب .أحبك بعدد كل حرف كتبته، وبعدد كل دمعة خبأتها عنك، وبعدد كل مرة دعوت الله أن يحفظك لي .هذه المذكرة منك، ولك، ومن أجلك

.وإلى أمي، روحي وقلبي وسري الجميل ...إليكِ يا من كنتِ تجلسين أمامي وأنا أكتب، تدعين لي بالتوفيق، وتراقبين كل تفصيلة في دربي بدعاء خالص وحب عظيم .يا من كنتِ تقولين لي دائمًا "أنا معكِ"، حتى في صمتكِ، كنت أشعر بكِ تحمّلين عني التعب، وترسلين الطمأنينة في عينيّ المرتبكتين . كنتِ الأمان في كل خوف، والدفء في كل تعب، والصبر حين ضاق صدري .لم أكن لأكمل دونكِ... وجودك كان طمأنينة الروح وراحة العقل .كل ما أنا عليه الآن هو ثمرة دعائك، وسهر قلبك، وخوفك الصامت .أحبك حبًا لا يحصيه كلام، ولا تكتبه صفحة، ولا يحتويه دفتر .

إلى أخواتي لمياء، ريمة، فاطمة، وأحلام أنتن ظهري وعزوتي، سندي الجميل حين خانتني الدنيا. فيكن وجدت القوّة، وبدفئكن تجاوزت الكثير .

وإلى أخي أسامة، توأم روحي، من كان دائم الثقة فيّ، يشدّ أزري بكلمة، ويزرع الطمأنينة في قلبي. كنتَ الضوء الذي لم يخفت أبدًا .

وإلى صديقاتي، كلٌّ باسمها... أنتنّ تعرفن مكانتكن في قلبي، وكم كان وجودكن سببًا في نجاتي من لحظات الانهيار. كنتنّ ظهري حين احتجت من يحملني... شكرًا لصدقكن، ولقربكن، ولحب لا يُشبهه شيء

وإلى وتين ,تاليا , صغيرتاي .... أنتما الحلم حين يبتسم , والنور حين يغمرني حبا .

.وإلى خالتي عائشة، أم صديقتي ...من كانت تتصل بي فقط لتقول: لا تقلقي، ستمر، وأنتِ قادرة ...كنتِ حضنًا يشبه الأمهات، وقلبًا حنونًا طمأنني في أصعب اللحظات .ساندتِني حين خفت، واحتويتِني حين شعرت أن لا أحد يشعر بي ...شكرًا من القلب، شكرًا لأنكِ كنتِ هناك، حين لم يكن الكثير .

وإلى كلّ من دعمني، ووقف معي بكلمة، أو بدعاء، أو بابتسامة صادقة ...شكرًا من القلب، ودمعة بين سطرٍ وحرف.

مقدمة:

منذ نشأته، شكّل علم الكلام حقلًا مركزيًا في الفكر الإسلامي، تولّى مهمة الدفاع عن العقائد وتبريرها عقلانيًا في مواجهة الخصوم. غير أن التحولات العميقة التي شهدها العصر الحديث – سواء على مستوى الفكر أو الإنسان أو العالم – جعلت هذا العلم يبدو خارج السياق، إذ ظلّ أسير أدواته ومفاهيمه التقليدية، في حين أنّ القضايا المطروحة اليوم باتت تُعبّر عن تحولات نوعية في الوعي الديني والوجود الإنساني. ومن هنا، أضحت الحاجة إلى تجديد علم الكلام ضرورة معرفية وروحية، تتجاوز منطق الرد والدفاع، نحو إعادة بناء العلاقة بين الإنسان والدين على أسس تستجيب لوجوده، وتُلبي قلقه، وتخاطب وجدانه

في هذا السياق، برز مشروع المفكر العراقي عبد الجبارالرفاعي في " علم الكلام الجديد " بوصفه محاولة لإعادة تأسيس هذا العلم خارج نطاق جدله التقليدي، انطلاقا من رؤية إنسانية تستبطن التحولات المعاصرة وتعيد تأويل المفاهيم العقدية الكبربكالوحي ,والعقل ,والعاطفة ,والقلب ,بل وتعيد تعريف الدين ذاته باعتبار حاجة وجودية لامجرد منظومة أحكام أو قواعد سلوكية .

الأسباب الذاتية لاختيار الموضوع :

شغف شخصي بأسئلة تجديد الفكر الديني، والرغبة في استكشاف علاقة أكثر عمقًا بين الإنسان والدين خارج الأطر المغلقة واهتمام خاص بالمشروع الفكري لعبد الجبار الرفاعي لما يتسم به من توازن بين النزعة العقلانية والوجدانية، وبين الأصالة والتحديث .

تطلع ذاتي للربط بين الفلسفة والكلام، من زاوية تتجاوز الحجاج العقلي إلى المقاربة الوجودية والإنسانية .

الأسباب الموضوعية لاختيار الموضوع :

- راهنيه الإشكالية التي يعالجها الموضوع في ظل أزمة الخطاب الديني والحاجة إلى خطاب أكثر إنسانية .
- قلّة الدراسات التي تناولت مشروع عبد الجبار الرفاعي من زاوية كلامية تحليلية مقارنة .
- التحولات الفكرية العالمية التي تفرض ضرورة تجديد أدوات التفكير الديني، خاصة في ما يتعلق بالمفاهيم الكبرى .

الإشكالية الكبرى: إلى أي مدى يشكل مشروع عبد الجبار الرفاعي في علم الكلام الجديد محاولة فعلية لتجاوز الأزمة البنيوية التي يعاني منها الفكر الديني التقليدي؟ وهل يمثل هذا المشروع تجديدا حقيقيا في المنهج والمقاصد أم أنه لا يعدوأن يكون إعادة صياغة داخل الإطار الكلامي القديم بلغة جديدة؟

المشكلات الفرعية :

1. ما الأسس الفلسفية والتاريخية التي تأسّس عليها علم الكلام التقليدي؟
2. كيف نشأ علم الكلام الجديد؟ وما هي الظروف الفكرية لظهوره؟
3. ما الفروق الجوهرية بين علم الكلام التقليدي والجديد؟
4. كيف عرّف عبد الجبار الرفاعي التجديد في علم الكلام؟ وما منطلقاته الفكرية؟
5. كيف أعاد بناء المفاهيم العقدية الكبرى؟
6. ما أبرز المآخذ والانتقادات التي وُجّهت إلى مشروعه؟ وهل يُعد مشروعًا بديلًا أم اجتهادًا تأويليًا محدودًا؟

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية هذا الموضوع في كونه يتناول واحدة من أكثر الإشكاليات الفكرية حساسية وتعقيدًا، وهي إشكالية تجديد علم الكلام في ظل الأزمات الفكرية والدينية المعاصرة.

كما يُسلّط الضوء على مشروع حديث وواعد يُمثّل انزياحًا معرفيًا عن النمط الكلامي السائد، ويساهم في بلورة فهم جديد للدين قائم على المقاصد الإنسانية لا الصراع العقدي .

المنهج المتبع:

تعتمد هذه الدراسة على المنهج التحليلي المقارن، الذي يجمع بين تتبّع المفاهيم الكلامية في سياقها التاريخي، وتحليل خطاب الرفاعي ومقارنته بالموروث، مع محاولة الكشف عن الأبعاد الفلسفية والتأويلية في مشروعه .

كما لا تخلو الدراسة من اعتماد المنهج النقدي متى دعت الضرورة إلى ذلك.

خطة البحث:

الفصل الأول: من سؤال المفهوم إلى سؤال المنهج تحولات في علم الكلام

المبحث الأول: مفاهيم وقضايا علم الكلام

المبحث الثاني: الفرق الكلامية الكبرى ودورها في تأسيس الحقل .

الفصل الثاني: علم الكلام الجديد.

المبحث الأول: ماهية علم الكلام الجديد.

المبحث الثاني: المقارنة بين علم الكلام القديم والجديد .

المبحث الثالث: التجديد في علم الكلام.

الفصل الثالث: مشروع عبد الجبار الرفاعي في تجديد علم الكلام: رؤية تحليليةو نقدية

المبحث الأول: التجديد في علم الكلام عند عبد الجبار الرفاعي، الإطار النظري والمنهجي.

المبحث الثاني: ملامح التجديد في علم الكلام معاصر لدى عبد الجبار الرفاعي.

المبحث الثالث: قضايا تجديد علم الكلام . عند عبد الجبار الرفاعي.

المبحث الرابع: دراسة نقدية وتقويمية لفكرة تجديد علم الكلام عند عبد الجبار الرفاعي.

المصادر والمراجع المعتمدة :

عبد الجبار الرفاعي، مدخل لدراسة اللاهوت الجديد وجدل العلم والدين .

عبد الجبار الرفاعي، مقدمة في علم الكلام .

عبد الجبار الرفاعي، الدين والنزعة الإنسانية .

عبد الجبار الرفاعي، الدين والظمأ الأنطولوجي .

عبد الجبار الرفاعي، تحديث الدرس الكلامي والفلسفي في الحوزة العلمية .

محمد رزمان، مقدمات في علم الكلام الجديد .

إدريس بن علي البارقي، مفهوم علم الكلام الجديد ونشأته .

أحد قرامك، الهندسة المعرفية لعلم الكلام الجديد.

صعوبات البحث:

بصفتي طالبةً في طور إنجاز هذه المذكرة، واجهتُ عددًا من الصعوبات التي اعترضتني خلال مختلف مراحل البحث. أولى هذه الصعوبات كانت صعوبة الإلمام بجوانب الموضوع نظرًا لتشابكه وامتداده بين علم الكلام والفلسفة والتأويل الديني، مما تطلّب مني وقتًا وجهدًا كبيرين لفهم الخلفيات النظرية والفكرية لمشروع عبد الجبار الرفاعي.

كما واجهت نقصًا في المراجع المتاحة في المكتبة الجامعية، خاصة تلك التي تتناول "علم الكلام الجديد" من زاوية تحليلية معمّقة، وهو ما دفعني إلى الاعتماد بشكل كبير على المصادر الرقمية، والتي لم تكن دائمًا كافية أو موثوقة.

كما شكّل الطابع المعاصر للموضوع تحدّيًا إضافيًا، إذ أن كثيرًا من أفكار الرفاعي ما زالت في طور التبلور أو لم تُدرس بعد بشكل أكاديمي واسع، مما فرض عليّ بذل جهد إضافي في القراءة المتقاطعة وربط النصوص وتحليلها. إلى جانب ذلك، كان من بين التحديات أيضًا ضيق الوقت وكثرة الالتزامات الدراسية، مما جعل تنظيم وقت البحث والكتابة يتطلب الكثير من الانضباط والتخطيط.

وأخص بالشكر أستاذي الفاضل لصقع الربيع على دعمه المتواصل , وتوجيهاته القيمة , وماقدمه لي من زاد معرفي كان له بالغ الأثر في إنجاز هذا العمل .

ورغم هذه الصعوبات، فإنّ العمل على هذه المذكرة كان بالنسبة لي فرصة قيّمة لاكتساب مهارات بحثية جديدة، والتعمق في إشكالية فكرية معاصرة أثْرتْ تجربتي العلمية والشخصية ، وبحكم اهتماماتي بقضايا التجديد الديني والفكر الكلامي، فإن هذه المذكرة تمثّل بالنسبة لي بداية أولى في مسار بحثي أطمح إلى تعميقه وتوسيعه في المستقبل.

لقد أتاح لي العمل على هذا الموضوع فرصة لفهم أعمق للعلاقة بين الدين والإنسان في ظل تحوّلات العصر، كما حفّزني على استكشاف مجالات أخرى ذات صلة، كمسألة تأويل النصوص الدينية، والبعد الإنساني في الفكر الإسلامي، ومفهوم الوحي من زاوية فلسفية حديثة.

وينبغي هنا التنبه إلى الدور الكبير الذي لعبه الأستاذ المشرف الدكتور لصقع الربيع من خلال تشجيعي على المضي قدما في البحث و الجد وتزويدي بجميع مؤلفات الرفاعي وبعض القراءات المنجزة حوله ، فضلا على الملاحظات المعرفية و المنهجية التي كان دوما يبديها حول كل جزء منجز من العمل.

آفاق الدراسة:

أطمح، من خلال مواصلة دراستي وتطوير أدواتي المعرفية، إلى الإسهام مستقبلاً في تجديد الخطاب الديني، عبر أبحاث علمية رصينة ونقد واعٍ للتراث، وانفتاح فكري على أسئلة الإنسان المعاصر، بما يسهم في بلورة رؤية دينية أكثر إنسانية وعُمقًا، تعيد وصل الدين بحياة الإنسان ووجوده في هذا العالم المتغير.

الفصل الأول

من سؤال المفهوم إلى سؤال المنهج تحولات في علم الكلام

تمهيد:

مما لاشك فيه أن تحديد المفاهيم وضبطها يعتبر عنصرا مهما بل خطوة ضرورية في كل بحث علمي ولذلك فقد حاولت أن أخصص هذا الفصل الأول لضبط مفهوم علم الكلام من حيث دلالاته اللغوية والاصطلاحية من خلال الاعتماد على بعض المفاهيم المتداولة في هذا المجال لدى مجموعة من الفلاسفة و المفكرين , وعرجت بعد ذلك على نشأة علم الكلام متتبعة جذوره التاريخية , ومناقشة المناهج المتتبعة في البحث الكلامي , من استدلالات عقلية ونقلية واستعمال للجدل الفلسفي .كما تطرقت إلى أبرز قضاياه ,من التوحيد والصفات الإلهية ,والعدل الإلهي ,والنبوة , والقدر إلى المقاصد التي توخاها علماء الكلام في بناء منظومة فكرية متماسكة تدافع عن أصول العقيدة . ثم سلطت الضوء على الفرق الكلامية الكبرى, مستعرضة أسسها الفكرية ومنهاجياتهاالجدلية ,في محاولة لاستكشاف عمق الجدل الفلسفي الذى حكم مسار هذا العلم , ومدى تأثيره على تطور الفكر الإسلامي بأبعاده المتعددة .

المبحث الاول :مفاهيم وقضايا علم الكلام

- **مفهوم علم الكلام لغة واصطلاحا**
- **لغة** :جاء في المصباح المنير " ان العلم هو اليقين :يقال علم يعلم اذاتيقن ,وجاء بمعنى المعرفة أيضا ,كما جاءت بمعناه ,وضمن كل واحد معني الاخر لاشتراكهما في كون كل واحد مسبوقا بالجهل "[1]

كما جاء في المعجم الوسيط : " العلم هو إدراك الشيءبحقيقته ._اليقين_ نور يقذفه الله في قلب من يحب .و_ المعرفة .وقيل : العلم يقال لإدراك الكلى والمركب ، والمعرفة تقال لإدراك الجزئي أو البسيط ، ومن هنا يقال : عرفت الله ، دون علمته ويطلق

[1] د محمد زرمان ، مقدمات في علم الكلام , ,دار الاعلام للنشروالتوزيع ,جامعة باتنة ,الجزائر , ط1, 1431 ه_2010 م,ص 11

العلم على مجموع مسائل وأصول كلية تجمعها جهة واحدة ، كعلم الكلام ، وعلم النحو وعلم الأرض ،وعلم الكونيات ، وعلم الآثار .... "[1]

أي العلم هو المهارة والقدرة التي اكتسبها الباحث من دراسة موضوعاته وقضاياه، وهو ايضا الاعتقاد الراسخ المتوافق مع الواقع والمستند الى الدليل.

الكلام في اللغة هو الاصوات المترابطة , وفي علم النحو يعرف بانه الجملة المركبة ذات المعنى المكتمل ,أو العبارة التامة التي تفهم بذاتها .وبمعناخر ,هو اللفظ او القول الذي يحمل معنى واضحا يمكن التوقف عنده دون الحاجة الى ايضاح اضافي .

أي الكلام هو أصوات مرتبة تعبر عن معنى ويكون جملة مقيدة تامة يمكن السكوت عليها دون ان يظل المعنى ناقصا .

- **اصطلاحا** :اطلق علماء الكلام والفلاسفة المسلمون العديد من التسميات على العلم الذي يتناول دراسة المسائل الاعتقادية واحكامها والاصول الدينية ومن بين هذه التسميات :علم اصول الدين ,علم التوحيد ,الفقه الاكبر ,علم الاعتقاد ,علم العقائد ,وعلم النظر والاستدلال ,ورغم اختلاف هذه الاسماء فإنها جميعا تعبر عن نفس المفهوم والموضوع .

ويعد "علم الكلام " من اشهر المصطلحات المستخدمة في دراسة العقيدة ومسائلها ,كما تباينت اراء الباحثين حول مفهومه ,حيث وسعه بعضهم ليشمل قضايا العمل الى جانب المسائل النظرية.[2]

عرفه الفارابي على انه : " صناعة الكلام يقتدر بها الانسان على نصره الآراء والافعال التي صرح بها واضح الملة وتزييف ما خالفهابالأقاويل "[3]

[1] مجمع اللغة العربية , المعجم الوسيط , إشراف إبراهيم أنيس ومجموعة من العلماء ,طبعة 2, جزء 2,صفحة 624.

[2] د مريم خليفة المبروك , علم الكلام من مأزق التقليد إلى رهان التجديد, عبدالجبار الرفاعي نموذجا، مجلة جامعة بنى وليد للعلوم الإنسانية والتطبيقية _ مجلد تاسع العدد الثاني 2024 , , قسم الفلسفة كلية الأداب , جامعة سرت _ ليبيا . تاريخ الإستلام 20_4_2024 ,تاريخ القبول 2_5_2024 , تاريخ النشر 1_6_2024,صفحة 4

وتفاوتت وجهات النظر بين من ضيق المفهوم وحصره في المسائل النظرية فقط ,كما عرفه الإيجي على انه "علم يقتدر معه على اثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبه" [1]

وفي هذا الإطار عرفه التفتازاني أنه " العلم بالعقائد الدينية عن الادلة اليقينية "[2]

وتراوح الامر بين من ضيق المفهوم اكثر ,فجعل منه علما خالصا باهل السنة ,كما عرفه ابن خلدون بقوله "علم يتضمن الحجاج عن العقائد الايمانية بالأدلة العقلية والرد على المبتدعة المنحرفين والاعتقادات عن مذاهب السلف واهل السنة "[3]

يتضمن تعريف ابن خلدون نفس الوظيفة التي حددها أسلافه ,لكنه يميز العلم بجعله مخصصا للرد على المخالفين من المبتدعة والمنحرفين عن منهج السلف واهل السنة .

كما يعرفه الجرجاني بقوله : " هو علم يبحث فيه عن ذات الله تعالى وصفاته واحوال الممكنات من المبدأ والمعاد "[4]

كما يقول الامام الغزالي عن تعريفه لعلم الكلام انه : "هو علم مقصوده حفظ عقيدة أهل السنة وحراستها من تشويش اهل البدعة "[5]

استنادا إلى التعاريف السابقة ,يمكن تعريف علم الكلام بأنه علم يعني بالقواعد الاعتقادية المستمدة من الأدلة القطعية ,حيث يبحث أحوال الممكنات وصفاتها الذاتية , ويدرس العقائد الإسلامية من خلال الاستدلال العقلي على وجود الله عز وجل ووحدانيته

---

[3] المرجع نفسه,صفحة 4

[1] المرجع نفسه ,صفحة 4

[2] المرجع نفسه , صفحة 4

[3] د نوسة السيد محمود السعيد مدرس لقسم العقيدة والفلسفة ، تجديد علم الكلام ورؤية وجدانية سلوكية ,جامعة الازهر كلية اصول الدين والدعوة بالمنوفية ، كلية الدراسات الاسلامية والعربية للبنات بالمنصورة ,صفحة 1502

[4] davudsoylu ,أراء علماء قارة هندية , في تجديد علم الكلام ,محمد اقبال ووحيد الدين خان انموذجا , مرجع سابق ,صفحة 319

[5] المرجع نفسه ,ص319

وصفاته ,كما يبحث في قضايا المعاد , بما في ذلك الجنة والنار ,والثواب والعقاب ,إضافة إلى ذلك ,يهتم علم الكلام بالدفاع عن عقائد أهل السنة والجماعة , والرد على البدع وإبطال المخالفات بالأدلة النقلية .[1]

سمي علم الكلام بهذا الاسم لكثرة استخدام لفظ "الكلام" في مباحثه , وشهرة مسألة الكلام في القرآن وكثرة الجدل حولها , كما أنه يورث القدرة على الحجاج وإلزام الخصوم ويعتمد على الحوار والمناظرة أكثر من غيره من العلوم , إضافة إلى ذلك , يتميز بكثرة الخلاف فيه , وقوة أدلته التي جعلته يتفوق على غيره , فضلا عن تأثيره العميق في القلوب لاشتماله على أدلة عقلية وشرعية [2]

- **نشأة علم الكلام :**

يتفق الباحثون على أن علم الكلام نشأ في وقت مبكر في العقل الإسلامي ,وأن هناك عدة عوامل محلية في الحياة الإسلامية ,كانت من الأسباب الرئيسية لظهوره .وقد كانت مسألة الخلاف حول "الإمامة"هي الأكثر اهتماما في تلك الفترة ,حتى أصبحت من أبرز القضايا العقائدية في حياة المسلمين .

كما ساهمت الحروب الأهلية في مرحلة لاحقة في تأجيج الجدل بين المسلمين حيث ظهرت تساؤلات متنوعة في سياق الصراع السياسي ,ولم تتوقف هذه التساؤلات على النمو والتطور , حيث أخذت تتشعب وتظهر في صيغ جديدة مع مرور الوقت ,وكان للحروب الداخلية في المجتمع الإسلامي تأثيرا كبير في تعزيز النقاش حول القضايا

[1] davudsoylu,أراء علماء قارة هندية , في تجديد علم الكلام ,محمد اقبال ووحيد الدين خان انموذجا,المرجعالسابق ,صفحة 319.

[2] عبد الجبار الرفاعي ,تحديث الدرس الكلامي والفلسفي في الحوزة العلمية , مكتبة الفكر الجديد ،د ,ت,ص ص 24,23

العقائدية , مما أدى إلى بروز أسئلة جديدة تتعلق بحكم مرتكب الكبيرة , وخلق أفعال العباد ,وحرية واختيار المكلف ,وغيرها من الموضوعات .[1]

شهدت الجزيرة العربية تحولا جذريا في مختلف جوانب حياتها منذ بزوغ فجر الإسلام ,إذ أحدث تغيرات شاملة في الأفكار والمبادئ التي كانت تحكم المجتمع أنداك ,فقط أسفرت الدعوة الإسلامية التي قادها النبي صلى الله عليه وسلم عن نشوء أمة جديدة تشكلت وفق تعاليم القرآن الكريم , الذي كان محور حياة المسلمين .يتلونه ,ويتدبرون معانيه ويستمدون منه فلسفتهم في الحياة ونظم الحكم وأساليب التعامل وأدى هذا الاهتمام العميق بالوحي إلى ظهور تيارات فكرية متعددة , كانت جميعها تعبيرا عن رؤية البشرية للوحي الإلهي ومن أبرزها :[2]

- الحركة الفكرية السياسية المتمثلة في الفرق المختلفة كالشيعة والخوارج .
- الحركةالفكرية العقدية المتمثلة في الفرق الكلامية الإسلامية المتعددة .
- الحركة الفكرية في مجال الفقه المتمثلة في المذاهب الفقهية .
- الحركة الفكرية الصوفية المتمثلة في المذاهب الصوفية . "[3]

بقيت المجتمعات والأعراق المتنوعة التي اعتنقت الإسلام لفترة طويلة محافظةعلى انتمائها للأديان الكتابية وغير الكتابية ,ولم تنجح حركة الدعوة السريعة في فكارتباط المسلمين الجدد بتأثيرات أديانهم السابقة , سواء في نظرتهم للعالم أو طقوسهم وممارساتهم المقدسة أو سردياتهم الموروثة ونتيجة ذلك ,تشكل مناخ فكري تداخلت فيه رؤى مختلفة مع الهوية الإسلامية .لكنها ظلتمشدودة إلى ذاكرة المقدس والثقافات المحلية.

---

[1] عبد الجبار الرفاعي ,علم الكلام الجديد , مدخل لدراسة اللاهوت الجديد وجدل العلم والدين,طبعة الأولى ,2016,دار التنوير للطباعة والنشر , مركز دراسات فلسفة الدين ,بغداد,ص .ص 7,8

[2]- ا د محمد رزمان ، مقدمات علم الكلام المرجع سابق ، صفحة 21

[3]- المرجعنفسه، صفحة 21

في مرحلة لاحقة ,تأثر علم الكلام بالمفاهيم والمقولات المستمدة من المنطق والفلسفة , والتي انتقلت إليه عبر حركة الترجمة , خاصة خلال العصر العباسي , إثر انفتاح المسلمين على التراث الثقافي للحضارات اليونانية ومدرسة الإسكندرية والهندية والفارسية وقد استرعى المنطق الأرسطي وفلسفة أفلوطين اهتمام المفكرين المسلمين , فتغلغلت مفاهيمها تدريجيا في علم الكلام ,الذى بدأ يتشكل على ضوء هذه المقولات . ومع مرور الوقت , أصبحت قواعد المنطق الأرسطي تشكل الأساس المعتمد في التفكير والبحث والجدل الكلامي , ولا يزال التفكير والبحث والجدل الكلامي , ولا يزال التفكير الكلامي حتى يومنا هذا يدور في فلك هذه القواعد , ويستند إليها كمرجعية رئيسية في الاستدلال والمناظرة والحوار مع الآخر .

كانت السياسة العامل الرئيسي وراء بروز العديد من الأسئلة والمعتقدات والآراء الكلامية وتطورها داخل الحياة الإسلامية , كما يظهر في تساؤلات الخوارج حول مسألة الحاكمية عقب معركة صفين , وظهور أفكار الجبر والقدر في العصر الأموي . إلى جانب ذلك , لعبت العوامل الاجتماعية والثقافية والاقتصادية السائدة آنذاك دورا مهما في نشأة علم الكلام وتطوره , إذ أمدت المتكلم بأدوات وعناصر مستمدة من تلك البيئة ,مما انعكس بوضوح على التراث الكلامي السلامي وأطره المعرفية التي تشكلت في ظل تلك الظروف .

بقيت البنية الأولى مهيمنة على التفكير الكلامي وموجهة له ضمن مساراتها الضيقة , فتكررت المؤلفات الكلامية منذ اكتمالعلمالكلام , محافظة على الأفكار نفسها وأنماط الاستدلال ,والموضوعات , والمقولات ذاتها.ودخل هذا العلم في حلقة مغلقة ,حيث ظل يعيد إنتاج المشكلات والتحديات التي عالجها السابقون , دون أن يتجاوزها فكان يبدأ مما انتهوا إليه ويعود إلى ما بداوبه .ورغم كثرة المؤلفات اللاحقة , إلا أنها لم تتجاوزكونها شروحا وهوامش على المتون الكلاسيكية .

في هذا الفضاء الثقافي نشأ علم الكلام , ليغدو سمة معرفية بارزة في الحضارة الإسلامية .وقد شارك عدد كبير من العلماء المسلمين في دراسته وتدريسه والتأليف فيه منذ أواخر القرن الهجري الأول وبلغ ذروته في القرن الرابع وتعددت الآراء والمواقف الكلامية حتى أصبحت الأساس الذي قامت عليه الفرق والاتجاهات المختلفة في الإسلام حيث اعتمد كل فرقة وتطورها وتأثيرها في الحياة الإسلامية على تأسيس تصورات وآراء عقلية مستدلة في القضايا العقائدية .[1]

" ولهذا عملت الفرق _ التي ظهرت ببواعث سياسية _ على صياغة فهم عقائدي ورؤية للعالم خاصة بها , وشددت على مقولات محددة استندت إليها كمرجعية في سلوكها السياسي ,وتبرير محاولاتها لاحتكار السلطة , أما الجماعات التي أخفقت في تكوين منظومة عقيدية ورؤية للعالم , تصدر عنها مواقفها السياسية ,فإنها انطفأت باكرا ,حتى وإن خطف وهجها الأبصار عند ظهورها"[2]

منذ نشوء علم الكلام وفي العديد من فتراته , تولى هذا العلم مهمتين رئيستين :

أولهما :توضيح العقائد الإسلامية وإثبات صحتها باستخدام الأدلة العقلية , والرد على الشبهات والاعتراضات التي يوجهها الخصوم من مختلف الأديان والمذاهب بما في ذلك مواقفهم من العقائد بشكل عام .

وأخرهما :فكانت مناقشة عقائد المخالفين وتقديم الأدلة والبراهين على فسادها وبيان زيفها , وهي مهمة تكمل المهمة الأولى ,حيث كان المتكلمون يعتمدون على فكرة أن الهجوم هو أفضل وسائل الدفاع .[3]

---

[1]-د عبد الجبار الرفاعي , علم الكلام جديد , مدخل لدراسة اللاهوت الجديد وجدل العلم والدين , ط 1 ,2016, دار التنوير للطباعة والنشر , موسوعة فلسفة الدين ,ص,ص 8,9,10

[2]- المرجع نفسه ,صفحة 10 .

[3]- أ.د. عبد حميد عبد المنعم مدكور, التجديد في العلوم الدينية "علم الكلام أنموذجا " مجلة أصول الدين , مجلد 2 ماي 2017 م,صفحة 144.

مناهج البحث في علم الكلام :

منهج البحث في علم الكلام , أو الأسلوب الذي يتبعه الباحث لدراسة , مسائله وقضاياه ,وأفكاره ونظرياته ,يتفاوت بحسب اختلاف وجهات نظر العلماء والمدارس الفكرية المعروفة بالفرق الكلامية , وذلك فيما يتعلق بالمنهج الواجب إتباعه في دراسة الفكر الديني والبحث فيه , ويمكن تلخيص ذلك في أن المذاهب الإسلامية الكلامية تعتمد على خمسة مناهج رئيسية في البحث والدراسة ,وهي :المنهج النقلي , والمنهج العقلي ,والمنهج التكاملي , والمنهج الوجداني , والمنهج العرفاني .[1]

حيث يعتمد منهج المتكلمين على ركيزتين أساسيتين وهما العقل والنقل , حيث ينطلقون جميعا من مبدأ أساسي مفاده أن الوحي والعقل متوافقان ولا يتعارضان, ومن هذا المنطلق , يرون أن الوحي يمثل الحق , وأن العقل يدعمه ويؤيده ويقدم الأدلة الواضحة التي تثبت صدقه ,وانطلاقا من هذا فإن المنهج الوسطي الذى يجمع بين النقل [الوحي] كأصل ثابت والعقل كوسيلة لتفسير هذا الأصل والدفاع عنه ,فهذا التوازن يعكس خصوصية علم الكلام كعلم يسعى إلى الجمع بين الإيمان القلبي والحجةالعقلية .[2]

"المنهج النقلي ويتمثل في الاعتماد على :إجماعالأمة , إجماع الصحابة , سيرة الصحابة إجماع السلف _ وهم مسلمو القرن الأول الهجري , الخبر المتواتر .....

والمنهج العقلي ويتمثل في الاعتماد على :الضرورة العقلية [بداهة العقول], سيرة العقلاء ، البديهيات العقلية [المنطقية] وهي :استحالةالدور , واستحالة التسلسل ,واستحالةاجتماعوارتفاع النقضين ..... "[3]

---

[1]عبد هادي فضلي , خلاصة علم الكلام , طبعة 2 ,1414ه ,2010 م ,دار المؤرخ العربي خلاصة علم الكلام,صفحة27

[2]د محمد زرمان، مقدمات علم الكلام, المرجع السابق ، صفحة 60

[3] عبد هادي فضلي , خلاصة علم الكلام ، ص ص28،27

ومن أبرز ما تميز به منهج المتكلمين

1_ أنهم رأوا أن النظر , بمعنى الاستدلال العقلي لإثبات العقائد , يعد من أولى الواجبات التي يتحملها الإنسان , إذ إنه السبيل إلى إدراك الواجبات الشرعية ,وقد عززوا هذا الرأي بالاستشهاد بالعديد من الآيات القرآنية التي تؤكد أهمية التفكير وضرورة إعمال العقل .

وهذا يعني أنهم حثوا على التدبر والتأمل في خلق الله واستخدام العقل في تحليل كل ما يصل إلى الحواس من معلومات ,مع إخضاع الآراء والأفكار والعادات و الأحكام للتقييم والنقد ,واستدلوا في ذلك بما ورد من القرآن من ذم للتقليد الأعمى , وانتقاد للمقلدين الذين يعطلون عقولهم ويكتفون بإتباع الآخرين في معتقداتهم , معتبرين أن هذا النهج من أبرز أسباب الانحراف والضلال المؤدي إلى الكفر والشرك , كما في قول الله تعالى " وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا "[1]

حيث يرى المتكلمون في هذا الأمر دعوة واضحة إلى تأسيس العقائد على الحجة والبنية والدليل العقلي .

ولأن إنكار التقليد في الاعتقاد تكرر في مواضع عديدة من القرآن , فقد استنتج المتكلمون أنه يتعارض مع العلم الصحيح , لذلك انتهوا إلى أن الإنسان الذي لا يستخدم عقله في الاستدلال على دينه لا يعتبر مؤمنا حقا , وتطورت هذا الفكرة لاحقا إلى حد إلزام المكلف بوجوب الشك قبل الوصول إلى الاعتقاد , وهكذا أصبح وجوب التأمل ,وحسن الفهم ,وتحكيم العقل , ونبذ التقليد والتبعية ,ركيزة أساسية في منهج المتكلمين .[2]

2_ لقد أجروا دراسة منهجية ,وقراءة نقدية ,ومتابعة تاريخية دقيقة لأسس جميع الأديان ,سواء السماوية أو غير السماوية , التي كانت حاضرة على الساحة وسعت إلى

---

[1]- سورة البقرة , أية 170

[2] - د محمد زرمان، مقدمات علم الكلام، المرجع السابق، صفحة 60 ,61 ,62.

مواجهة الإسلام ,لذا قاموا بدراسة أصول عقائدها وتحديد نقاط الخلاف الجوهرية بينهما وبين العقيدة الإسلامية ,يهدف ألتصدي لها فكريا ,فقد كان معظم المتكلمين يتمتعون بعقول مبدعة وقوية وثقافة واسعة ,مما منح علم الكلام طابعا واقعيا تجلى في تناولهم للقضايا التي استجابت للشبهات المنتشرة في المجتمع الإسلامي فأصبحت تلك القضايا تشكل تهديدا لبنيته العقدية ,ولم تكن مجرد مسائل نظرية تهدف إلى الترف الفكري , بل أضفت على علم الكلام ديناميكية واضحة , تجلت في التغيير المستمر لمحاور اهتمامه .

وفي هذا السياق ,تأتي دراساتهم المفصلة لأصول اليهودية والنصرانية والمجوسية والبرهمية وتاريخها , وقد أتاحت لهم هذه الدراسات الكشف عن النقاط الجوهرية التي تتعارض مع الإسلام , مما يساعدهم على تحديد أساليب المواجهة المناسبة معها .

ففي دراستهم المعمقة لليهودية ,ركزوا في دفاعهم على مجموعة من القضايا التي سعت إلى التشكيك في العقائد الإسلامية وتفنيدها .

فعند مناقشتهم للمسيحية , تناولوا قضية التثليث وألوهية عيسى وواقعية الصلب والفداء ,وبينوا ما شابها من عادات ذات جذور وثنية رومانية , كما انتقدوا أتباع الديانات المجوسية مثل الزرادشتية و المانوية والمزدكية الذين يعتقدون بوجود إلهين خالقين :إله النور وإله الظلمة .

تصدي المفكرون للرد على البراهمية الذين ينكرون النبوات والوحي ويزعمون أن العقل كاف ولاحاجة للوحي أو النبوة . ومن هنا نشأت مسألة العلاقة بين العقل والنقل , حيث بذل المتكلمون جهدا كبيرا في إثبات تكاملهما ورفع التعارض بينهما .[1]

وهو ماذكره الغزالي عندما قال " إن الوحي عقل من خارج ، والعقل وحي من الداخل وهما متضادان "[2]

[1]- د محمد زرمان، مقدمات علم الكلام، المرجع السابق ، صفحة 62,63،64

عندما تعرضت الفلسفة اليونانية التي تعتمد على العقل وتستندإليه , وتقيم أحكامها على المنطق والمعقول ,لم يكن المتكلمون الذين أتقنوا هذه الفلسفة عاجزين عن مواجهتها بل تمكنوا من التمرس على مقاييسها ومنهجها الجدلي ,وحددوا أيضا النقاط التي تتعارض مع العقيدة الإسلامية .

تفاوت المتكلمون بشكل كبير في استخدام المنهج العقلي لإثبات النصوص النقلية فبعضهم بالغ في الاعتماد على العقل كوسيلة وحيدة لإدراك المعرفة و الوصول إلى الحق حتى وصلوا إلى تأويل النصوص المقدسة وتعديلها لتتناسب مع النظريات العقلية التي بنوا عليها اراءهم .

ومنهم من أسس أراءه الكلامية على النصوص بشكل أساسي , وجعل العقل داعما لها , وعندما تعارض العقل والنقل في مسائل متشابهة , كانوا يرجحون النقل ويعلنون عن عجز العقل في التعامل مع العديدمن القضايا التي تتجاوز قدراته .

ومنهم أيضا من اتخذ موقفا وسطا بين العقل والنقل , وأكدوا ضرورة كل منهما في معرفة الله عز وجل والوصول إلى الحق , وهم الماتردية .[1]

قضايا علم الكلام [موضوعاته] :

موضوع علم الكلام يتعلق بالعقائد الإسلامية التي نقلها الرسول صلى الله عليه وسلم من الله تعالى عبر الوحي بواسطة جبريل عليه السلام .

وتتألف أركان العقيدة الإسلامية من ستة أصول وهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الأخر والقدر خيره وشره .

---

[2]- المرجع نفسه، ص60

[1]- المرجع نفسه، صفحة 64-65

تم بيان هذه الأركان بالتفصيل، في الكتاب والسنة , ومن ذلك قوله تعالى " آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ "[1]

ويعني ذلك أن هذه الأركان هي أساس الإيمان في الإسلام، وأنها وردت مفصلة في الوحي [القرآن والسنة] , مما يعزز مكانتها في العقيدة الإسلامية .

ومن تعريفاتنا سابقا لعلم الكلام تمكنا من معرفة موضوعه ألا وهو _أُصول الدين _"وأصول الدين هي الألوهية النبوة الإمامة المعاد "[2]

هذه الأصول تمثل الأسس التي يبنى عليها الإيمان في العقيدة ,وتشكل قاعدة لفهم الدين وعمل بتعاليمه ويمكن شرحها كما يلي :

الألوهية :الإيمان بالله تعالى كإله واحد ,خالق الكون ,الموصوف بالكمال المطلق ,المستحق للعبادة وحده.

النبوة :الإيمان بأن الله أرسل أنبياء ورسلا لهداية البشر وتبليغ رسالته , وهم واسطة بين الله وعباده لإرشادهم إلى الحق .

الإمامة :هذا المصطلح يشير في الغالب إلى المذهب الشيعي حيث يعتبر الإيمان بالإمامة جزءا من أصول الدين , وهو الاعتقاد بأن الأئمة المعصومين [من نسل النبي صلي الله عليه وسله] هم قادة روحيون ودنيويون للأئمة , معينون من قبل الله .

المعاد :الإيمان باليوم الأخر أو البعث بعد الموت ,حيث يحاسب الناس على أعمالهم في الدنيا , ويجزي المؤمنون بالجنة, ويعاقب المسيئين .

---

[1]- سورة البقرة , أية 285 .

[2]- د عبد هادي فضلي , خلاصة علم الكلام , المرجع السابق،صفحة 23

وماورد في بعض الكتب الكلامية من عناوين أخرى تعد من الأصول فإنه في الحقيقة يندرج تحت هذه العناوين الأربعة , وإنما أفردها بعضهم بسبب الخلاف الذي نشأ حولها بين المدارس الكلامية والفرق المذهبية .

ومن ذلك على سبيل المثال "العدل " عند الإمامية والمعتزلة، حيث يعتبر من موضوعات الألوهية , وكذلك "الوعد والوعيد " و "المنزلة بين المنزلتين " عند المعتزلة , و "القدر خيره وشره " ,عند أهل السنة , إذ تندرج هذه الموضوعات ضمن قضايا الالوهية من جهة , والمعاد من جهة أخرى .

وسميت موضوعات هذا العلم المذكورة أعلاه ب " أصول الدين " تمييزا لها عن الأحكام المبنية عليها والتي تعرف ب "فروع الدين " ، ويستند هذا التقسيم للدين إلى أصول وفروع على تصنيفهم الدين إلى: معرفة وطاعة ،حيث يقصد بالمعرفة العقيدة وبالطاعة العمل

نظرا لأن العمل في جوهره يعتمد على المعرفة،أطلق على مفاهيم وأحكام المعرفة إسم "أصول الدين "بينما أطلق على مفاهيم وأحكام الطاعة اسم "فروع الدين "[1]

يشير هذا القول إلى تصنيف سلوك الإنسان إلى قسمين رئيسين ألا وهما :

ويمكننا أن نستوعب مضمون هذا التقسيم من خلال فهمنا للدين بوصفه توجيها لسلوك الإنسان في حياته."وسلوك الإنسان _ كما هو معلوم _ ينقسم إلى قسمين: السلوك النظري والسلوك العملي "[2]

السلوك النظري وهو السلوك المرتبط بالأفكار،والمعتقدات ، والمعارف التي يحملها الإنسان ، يتعلق بما يدور في ذهن الإنسان من مفاهيم وقيم ونظريات ويظهر في طريقة تفكيره وتحليله للمواقف .

[1]- د عبد هادي فضلي , خلاصة علم الكلام ,المرجع السابق، صفحة 23
[2]- المرجع نفسه، صفحة 24

السلوك العملي وهو السلوك المرتبط بالأفعال والتصرفات التي يقوم بها الإنسان في الواقع ,يعبر عن طريقة تفاعله مع المحيط ,وأسلوب تعامله مع الأخرين , وكيفية تطبيقه لما يؤمن به من افكار ومعتقدات.

إجمالاأن سلوك الإنسان يشمل الجانبين النظري [ما يفكر فيه] والعملي [مايقوم به] وكلاهما يعكس شخصية الإنسان وتوجهاته.

مقاصد علم الكلام وغاياته :

كان من أهداف العلماء المسلمين الذين إشتغلوا بعلم الكلام في مراحله الأولى تعزيز العقيدة كما وردت في الإسلام، والحفاظ على نقائها وتوهجها، والدفاع عنها ضد الهجمات من الضالين أو الكافرين .لذلك ،بذلوا جهودهم لتأسيس العقيدة على أسس سلمية، كونها ركنا أساسيا في الدين وعموده ومن بين مقاصدهم:

- يجب أ ن يستند الإيمان بالعقائد إلى أساس راسخ من الأدلة العقلية ,مما يجعله ثابتا في النفس , لاتهزه الشبهات ولا تؤثر فيه الادعاءات .
- إقامة حصن فكري متين يواجه هجمات الشرك والتيارات الفلسفية الأجنبية الساعية إلى زعزعة الأسس الجوهرية للعقائد الإسلامية.
- أن يرسخ المؤمن عقيدته في ذاته، مما يمكنه من العيش وفق النظام الإلهي الذي يحقق له الاستقرار , عبر إرسال العدل بين البشر، وحفظ التوازن في الكون، من خلال امتثاله لشرع الله والتزامه بأوامره ونواهيه.
- أن ينال المؤمن في الآخرة الجزاء العظيم والثواب الجزيل، وينجو من العقاب المترتب على المعصية والانحراف في الاعتقاد والكفر.[1]

كما ظهر ذكر "الإيجي" عددا من مقاصد علم الكلام ومنها:

[1] - د محمد رزمان, مقدمات علم الكلام ,المرجع السابق، صفحة 19 ,20

1 – الترقي من حضيض التقليد إلى ذروة الإيقان،ويرفع الله الذين آمنو منكم والذين أوتوا العلم درجات .

2– إرشاد المسترشدين بإيضاح الحجة ,وإلزام المعاندين بإقامة الحجة .

3– حفظ قواعد الدين على أن تزلزلها شبه المبطلين .

4– أن تبني عليه العلوم الشرعية فإنه أساسها وإليه يؤول أخذها واقتباسها"[1]

بناءا على ذلك فإن من أعظم مقاصد علم الكلام هو تحقيق سعادة البشر في الدنيا والآخرة من خلال ترسيخ العقائد الإيمانية في النفوس باستخدام العقل ,ليعزز ذلك الإقرار القلبي , والدفاع عنها من خلال دحض الشبهات التي يثيرها المنكرون , مما يسهم في إرتقاء الإنسان من قاع التقليد إلى قمة اليقين .

مناهضة علم الكلام :

تعرض علم الكلام إلى جملة من المواقف المناهضة له فنجد مثلا: الإمام مالك بن أنس الذي رفض الخوض في بعض مسائل الكلامية حيث قال: " الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب , والسؤال عنه بدعة "[2].

ويقصدهنا: الاستواء معلوم تعني أن صفة الاستواء الله على العرش لله تعالى معلومة لنا في اللغة العربية وفهمها بشكل عام.

والكيف مجهول تعني أن كيفية استواء الله على العرش مجهولة بالنسبة لنا.نحن نعلم الصفة ولكن لا يمكننا أن نعرف كيف حدث ذلك.

والإيمان به واجب نعني هنا أنه من الواجب على المسلم أن يؤمن بهذه الصفة كما وردت في القرآن والسنة دون محاولة تحريفها أو التلاعببمعانيها.

[1]- المرجع نفسه، صفحة 20

[2] د عبد الجبار الرفاعي , علم الكلام الجديد مدخل لدراسة اللاهوت الجديد وجدل العلم والدين المصدر السابق,صفحة 13

والسؤال عنه بدعة هذا يعنى أن محاولة التساؤل عن كيفية الاستواء أو البحث في تفاصيلها هو بدعة، أي شيء غير مشروع في الدين،لأن الشريعة لم تتطرق إلى كيفية هذه الصفات وإنما اكتفت بالإخبار بها على وجهها، فما علينا إلا أن نؤمن بها دون التوغل في السؤال عن كيفية حدوثها.

إجمالا، هذه الجملة تعبر عن الموقف الصحيح الذي يجب أن يتبعه المسلم في فهم صفات الله، وهو الإيمان بها كما وردت في النصوص دون الخوض في تفاصيل لا يمكننا إدراكها .

ناهض الإمام الشافعي أيضا الاتجاه الكلامي في التفكير، فشن هجوما حادا على المتكلمين، ونقل عنه قوله بعد مناظرته مع أحدهم: "لقد اطلعت من أهل الكلام على شيء ماتوهمه قط ولأن يبتلى المرء بجميع ما نهى الله عنه، سوى الشرك، خير من أن يبتلى بالكلام"[1]

في هذا القول، يعبر الشافعي عن استيائه من التوجهات الكلامية، التيتركزعلى الجدال النظري والتعقيد الفلسفي في مسائل العقيدة، معتبرا إياها بعيدة عن المقاصد الحقيقية للدين التي تقوم على الإيمان البسيط والعلمي، كما يظهر الشافعي أن هذه الأساليب قد تؤدي إلى التشتت والضلال عن الطريق الصحيح.

تعبيره [لأن يبتلي المرء بجميع ما نهى الله عنه سوى الشرك خير من أن يبتلى بالكلام] يعنى أنه في رأيه، حتى المعاصي الكبرى التي نهى الله عنها قد تكون أقل ضررا من الغرق في الفلسفة الكلامية، لأنها قد تضل الشخص عن حقيقته الدين البسيطة والعملية.

الشافعي هنا ينصح بالابتعاد عن الفلسفات النظرية المبالغ فيها، ويؤكد على أهمية التمسك بالإيمان البسيط والعملي الذي يبعث على التقوى والإتباع الصحيح للسنة

[1]- المرجع نفسه , صفحة13_ 14

النبوية. ثم جاء بعده الإمام أحمد بن حنبل، فاقتفي نفس الطريق، وتعمق في معارضة الفكر الكلامي، حتى تورط في جدالات حادة ومشاحنات مع المتكلمين، بلغت ذروتها عندما تعرض للضرب في مناظرته مع ابن أبي داود حول مسألة خلق القرآن، وقد نسب إلى ابن حنبل أقوال قاسية في تكفير الكلام وأهله منها "لايفلح صاحب كلام أبدا، ولا ترى أحدا ينظر في الكلام إلا وفي قلبه مرض وقوله "علماء الكلام زنادقة "[1]

لايفلح صاحب الكلام أبدا: الإمام أحمد يشير إلى أن الشخص الذي يلتزم بالفكر الكلامي ويغرق في الجدل الفلسفي النظري لن يحقق النجاح الحقيقي في الدين أو الحياة. فالكلام هنا، يشمل الفلسفة العقلية التي تركز على المنطق المجرد والجدال العقلي حول قضايا الإيمان دون العودة إلى النصوص الشرعية والتمسك بها، في رأي الإمام أحمد،مثل هذا التفكير لايؤدي إلى الفلاح أو النجاح الحقيقي في الآخرة.

ولاترى أحدا ينظر في الكلام إلا وفي قلبه مرض: الإمام أحمد يري أن الاهتمام بالكلام والمجادلات العقلية يعكس انحرافا في القلب "المرض"هنا لايعني المرض الجسدي، بل يشير إلى فساد النية أو الانحراف عن الطريق الصحيح فالشخص الذي يركز على هذه المسائل الفلسفية قد تكون انشغل عن العقيدة البسيطة والمباشرة التي جاء بها القرآن والسنة، وقد تؤدي هذه الانشغالات إلى الشكوك أو البدع.

يعنى أن الإمام بن حنبل يحذر من الانغماس في الجدل الكلامي الذي قد يؤدي إلى تفرقة القلب وتبعثر الفكر، مفضلا الإيمان البسيط والمباشر المتمسك بالوحي والنصوص الشرعية دون تعقيد عقلي أو فلسفي.

أما بالنسبة لقوله علماء الكلام زنادقة كان يرى أن العقل يجب أن يستخدم في فهم الدين ضمن حدود النصوص الشرعية فقط ,وأن أي محاولة لتفسير الدين باستخدام

[1] د عبد الجبار الرفاعي , علم الكلام الجديد مدخل لدراسة اللاهوت الجديد وجدل العلم والدين , المصدر السابق ,بغداد ,صفحة 14

الفلسفة والمنطق يمكن أن تؤدي إلى الإلحاد أو الانحراف عن المعنى الصحيح، لذا النوع من الجدل الفلسفي حول العقائد ب [الزنادقة] باعتبارهم بعيدين عن الصواب في تفسير الدين.

انتشرت أفكار التيار المناهض للكلام في وعي عامة المسلمين , مما جعل الكثيرين ينظرون بشك إلى الفكر الكلامي , وقد تنامت هذه الظاهرة حتى أصبح النظر إلى العلوم العقلية بشكل عام يتم بتوجس وريبة ,وخاصة بعد أن قام بعض خصوم علم الكلام بصياغة خطاب تحريضي ضده وضد من يمارسه , وقد انعكس ذلك في عناوين كتبهم , فعلى سبيل المثال , ألف أبو إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي كتابا بعنوان [ذم الكلام وأهله] , وكتب الغزالي [إلجام العوام عن علم الكلام] , كما ألف موفق الدين بن قدامة المقدسي كتاب [تحريم النظرفي كتب أهل الكلام] .

وتعرض علم الكلام لآفات عديدة وهي كثرة المتطفلين وهم أشخاص لم يكونو من المختصين ووصف الجاحظ صناعة الكلام بأنها مجال يكثر فيه الدخلاء والمتطفلون، بينما يقل فيه المبدعون والأصفياء.واعتبر أن التفوق في هذا المجال أمر نادر إذ تتطلب إتقانه شروطا دقيقة وعميقة. وأشار إلى أن العاجزين عنه يدعون القدرة عليه، في حين أن أصحاب الذوق الفطري يعانون من إدعاءات من لايملكون الموهبة الحقيقة، بل إنهم غالبا مايكونون غارقين في الحشو ومستهدفين بمكائد السفلى.

بعد حدوث المعارضة، برز تباين واضح في فهم النصوص الدينية، مما أدى إلى نشوء اختلافات فكرية أسهمت في ظهور الفرق الكلامية ,حيث تبنت كل فرقة منهجا خاصا في تفسير العقيدة والتعامل مع القضايا الجدلية ومما أثر بشكل كبيرعلى تطور الفكر الإسلامي .

المبحث الثاني: الفرق الكلامية الكبرى ودورها في تأسيس الحقل.

1-المعتزلة:

+تعد المعتزلة من أهم الفرق الكلامية في تاريخ الإسلام ، إذ أسسوا علم الكلام الذى يعتمد على العقل والمنطق في تفسير العقيدة , بروزا كمجموعة متكاملة في التفكير الكلامي , حيث كانوا الأوائل في استخدام العقل لتحليل النصوص الدينية ومناقشة العقائد الإسلامية بطرق تعتمد على المنطق.

تميزت المعتزلة بدمجهم للعقل في العقيدة , واعتبروا أن فهم النصوص والعقل , وقد خاضوا جدالات واسعة مع خصومهم الذين تمسكوا بالتفسير الحرفي للنصوص .

الأصول الخمسة للمعتزلة:

تمثل الأصول الخمسة الإطار العام لفكر المعتزلة، وقد أجمعوا عليها، إلا أن ذلك لايعني غياب الخلاف بينهم،إذ وجدت بعض التباينات في الفروع المستندة إلى هذه الأصول ومع ذلك تبقى هذه الأصول الأساس الجوهري لفكر المعتزلة، ولم تنشأ هذه الأصول دفعة واحدة، بل مرت بمراحل تطور المذهب المعتزلي، وكان أول أصل وضع من الناحية التاريخية هو "المنزلة بين المنزلتين ".

سنتناول هذه الأصول وفق ترتيبها من حيث الأهمية لدي المعتزلة، لا وفق تسلسلها التاريخي، وسنكتفي بعرضها دون التطرق إلى كل فرقة على حدي، نظرا لأنها تمثل الركيزة الأساسية لفكر المعتزلة. وقد بنوا عليها مختلف المسائل الفرعية، كما سنعرض أراء الفرق المعتزلية من خلال تناولنا لهذه الأصول.

أصل التوحيد:" تذهب جماعة المعتزلة إلى القول إن الله واحد في ذاته لاشريك له،ولاشريك له أيضا في خلق هذا العالم وتكوينه ولاشريك له في القدم. هذا القول مشترك بين جماعة المعتزلة وبين غيرهم من المتكلمين ...."[1]

أنكرت المعتزلة وجود صفات قديمة زائدة على ذات الله، واعتبروا أن صفاته هي عين ذاته، فرأوا أنه قادر بقدرته التي هي ذاته وعالم بعلمه الذي هو ذاته، كما أولوا الآيات التي قد توحي بالتشابه بين الله والمخلوقات فجعلوا ألفاظا مثل "اليد" و"العين" والوجه ذات دلالات مجازية تجنبا للتشبيه وركزوا على تفرد الله بالقدم، معتبرينها أبرز صفاته، مع اتفاقهم على إنكار الصفات القديمة، وإن اختلفوا في تفاصيل ذلك.

أصل العدل: يسعى المعتزلة إلى تنزيه الفعل الإلهي عن أي شائبة ظلم أو ما قد يتعارض مع العدل الإلهي، وقد تمسكوا بهذا المبدأ بصرامة حتى أصبح سمةبارزة في فكرهم، مما دفعهم إلى منحه اهتماما خاصا، وقد تناولوا في إطاره العديد من القضايا، إلا أن طبيعة هذا العرض العام لآرائهم لا تسمح بالتطرق إليها جميعا بالتفصيل لذا سنركز على أبرزها:

1- **معنى العدل:**" وفي البداية نعرض لمفهوم المعتزلة للعدل، فالمقصود عندهم من وصف الله بالعدل،أن المراد به أنه لايفعل القبيح ولا يختاره ,ولا يخل بما هو واجب عليه وأن أفعاله كلها حسنة"[2]

جميع افعال الله حسنة وحكيمة , ومنزهة عن النقص .ويرى المعتزلة أن "الواجب " ثابت لايختلف باختلاف الفاعلين , لأن الحقائق لاتتغير .لذا , عدم توبة الله على الأنبياء والمؤمنون يشبه الامتناع . عن رد الوديعة , مما يعد إخلالا بالعدل .

[1]- فيصل بدير عون،علم الكلام ومدارسه، دار الثقافة للنشر والتوزيع , طبعة 2 , 4696 .59صفحة 200
[2]- د على عبد فتاح المغربي ،الفرق الكلامية الإسلامية ,مدخل ودراسة ، طبعة 2 , 1415ه _1995م سلسلة دراسات كلامية,صفحة228 .

2-**أصل اللطف** :يرى المعتزلة أن الله خلق الخلق لمنفعتهم , ولتحقيقها منحهم القدرة على أداء الواجب عبر اللطف الإلهي , الذي يحفزهم على الطاعة دون إجبار . ومن مظاهر اللطف أن الله لايكلفهم فوق طاقتهم ,بل بما يناسب قدراتهم , ولايفرض التكليف إلاعلى العاقل البالغ , لأنه وسيلة لتزكية النفس ونيل الثواب .[1]

3- **خلق الأفعال** :يرى المعتزلة أن حرية الإرادة أساس في عقيدتهم , لأن القول بالجبر يناقض العدالة الإلهية ,والتكليف , والثواب والعقاب , إذ لايمكن أن يريد الله الشرك والفساد ثم يحاسب عليهما , كما أن الجبر يفسد التمييز بين الخير والشر ,فيفقد الأمر والنهي معناه .[2]

4-**الحسن والقبح العقليان** :ترتبط مسألة الحسن والقبح بالعدل الإلهي , إذ يقتضي العدل أن تكون أفعال الله كلها حسنة , مما يستلزم تحديد مفهوم الحسن والقبح . ويرى المعتزلة أن الحسن والقبح صفات ذاتية للأفعال , قائمتان بذاتهما ومستقلان عن الحكم الشرعي .[3]

5- **نفى إرادة الله للقبائح** :يرى المعتزلة أن الله لا يخلق أفعال العباد لأنه لايريد القبائح , وبما أن بعضها قبيح ,فإرادته لاتشمل كل مايحدث . لذلك فسر بعضهم الإرادة بطريقة تنفى شمولها للقبائح , بل وصل الأمر أحيانا إلى نفي صفة الإرادة عن الله .[4]

6-**أصل الوعد والوعيد** :الوعد هو الإخبار بنفع مستقبلي أو دفع ضرر , والوعيد هو الإخبار بضرر مستقبلي أو تفويت نفع , دون اعتبارالاستحقاق .[5]

ويرى المعتزلة أن استحقاق المدح والذم والثواب والعقاب يرتبط بحسن الفعل أو قبحه ،وبمعرفة الفاعل بذلك , إضافة إلى كون الفاعل مستحقا للثواب أوالعقاب .

---

[1]- د على عبد فتاح المغربي ،الفرق الكلامية الإسلامية ,مدخل ودراسة, ص ص331 ,332 .
[2]- المرجع نفسه , صفحة 236 .
[3]- المرجع نفسه ,صفحة 246
[4]- المرجع نفسه , صفحة 249 .
[5]- فيصل بدير عون ،علم الكلام ومدارسه , ,المرجع السابق ,صفحة219 .

العقاب مستحق عقلا ونقلا، فالعقل يوجبه لردع المقبحات وتحفيز الواجبات، وإلا لكان إغراء بالقبيح، وهو ممتنع على الله. كما تدل النصوص على وعد الطائعين بالثواب ووعيد العصاة بالعقاب، تحقيقا للعدل.

المنزلة بين المنزلتين :إتفق المؤرخون على أن هذا الأصل كان البداية التي إنطلق منها مذهب المعتزلة، ويعنى هذا الأصل، كما أشرنا، أن مرتكب الكبيرة لايعتبر مؤمنا ولا كافرا، بل هو في منزلة وسطى بينهما.[1]

يرى المعتزلة أن الإيمان يتضمن اعتقاداابالقلب، وإقرارا وشهادة بالسان والتزاما بالعمل بالجوارح، وقد جعلوا للعمل مكانة كبيرة في تحقيق الإيمان.[2]

الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر: يمثل هذا الأصل الجانب التطبيقي في أصول المعتزلة، كما أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر محل إجماع المسلمين، باستثناء قلة من الإمامية لا يعتد برأيها. ويشرح القاضي عبد الجبار أن الأمر هو توجيه الأعلى للأدنى ب "افعل" ، والنهي هو توجيهه ب "لاتفعل" ، أما المعروف فهو ماعرف حسنه أو دلت عليه الأدلة، والمنكر ماعرف قبحه أو دلت عليه الأدلة.[3]

إستمدت المعتزلة هذا الأصل من القرآن الكريم والسنة النبوية، حيث توجه العديد من الآيات التي تحث المؤمنين على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، لذا يمكن القول إن هذا المبدأ الخامس يعد مبدأ شاملا موجها إلى جميع المسلمين.[4]

2-الأشاعرة :

مذهب الأشاعرة :

[1]- فيصل بدير عون ،علم الكلام ومدارسه , ,المرجع السابق, صفحة 221 .
[2]- د على عبد الفتاح المغربي الفرق الكلامية الإسلامية _ مدخل ودراسة , ,المرجع السابق صفحة 259
[3]المرجع نفسه ,صفحة 262
[4]- فيصل بدير عون علم الكلام ومدارسه,المرجع السابق ,صفحة 224

يرى الأشاعرة أن مذهبهم هوالوحيد الخالي من البدع والضلالات حيث أجمعوا على أن العالم حادث , مخالفين بذلك بعض الغلاة الذين قالو بقدمه، كما أقروا بوجود الله ووحدانيته وتنزيهه، على خلاف بعض فرق الباطنية الذين أنكروا الوجود والعدم معا .

ويؤكد الأشاعرة أن الله وحده هو الخالق، ولا خالق سواه وأنه قديم، ويوصف بالقدم، بخلاف ماذهب إليه المعتزلة وبعض الفرق الأخرى.

تأكيد القول بوجود الله : في سياق إثبات وجودالله وهو الموضوع الأساسي لدى المتكلمين يصرح الأشعري " إن الدليل على أن للخلق صانعا هو أن الإنسان الذى في غاية الكمال والتمام كان نطفة ثم علقة ثم لحما ودما .... "[1]

لقد أدركنا أن الإنسان لايستطيع أن يغير حاله بنفسه، إذ نراه في قمة قوته وكمال عقله عاجزا عن إيجاد السمع أو البصر لنفسه أو خلق أي جارحة من جوارحه، ويؤكد ذلك أنه في حالة الضعف والنقص يكون أشد عجزا عن فعل ذلك، لأن ما يفترض قدرته عليه في حال الكمال يصبح في حال النقصان أكثر استحالة، وقد رأيناه يمر بمراحل الحياة من الطفولة إلى .

الشباب، ثم من الكهولة فالشيخوخة ,دون أن يكون له أي قدرة على التحكم في هذا التغير، وحدانية الله تعالى : وحدانية الله تعد قاعدة أساسية في الإسلام , ويقوم الشهرتان بتوضيح مفهوم الواحد وفقا لرؤية الأشاعرة " فيقول الواحد هو الشيء الذي لايصحإنقسامه إذا لا تقبل ذاته القسمة بوجه ولا تقبل الشركة بوجه ...."[2]

من الواضح أن الأشاعرة الذين جاؤوا بعد ذلك اعتمدوا في إثبات وحدانية الله على القرآن الكريم , مستندين بشكل خاص إلى الآيات التي تؤكد استحالة وجود شريك لله في حكم هذا الكون وخلقه .

---

[1]- فيصل بدير عون علم الكلام ومدارسه , ,المرجع السابق , صفحة 272

[2]- د علي عبد فتاح المغربي الفرق الكلامية الإسلامية ,مدخل ودراسة , ,المرجع السابق,صفحة 276

قول موجز في الصفات الإلهية : يرى الأشاعرة أن الله تعالى عالم ,قادر , سميع بصير ,حي ...وأن هذه الصفات أزلية قديمة لا تتجزأ عن ذات الله ,ومن المستحيل تصور وجود إلهى دون هذه الصفات ,حيث تضيف الأشاعرة " أن الصفات الإلهية ليست هي الله ،وليست غير الله .وقد استدلت على أزلية الصفات الإلهية بطريقة عقلية منطقية ...."[1]

يعتقد الأشاعرة أن الصفات الإلهية تشمل كل شيء , فالعلم الإلهي يشمل كل معلوم ,والقدرة الإلهية تشمل كل مقدور .

فكرةالكسب عند الأشاعرة :رأي المعتزلة أن الإنسان قادرا على أفعاله ومسؤول عنها، وهو مايتطلبه العدل الإلهي، وكرامة الإنسان،أما الأشاعرة، فقد كانت لهم وجهة نظر مغايرة تمثلت فيما بعد في نظرية الكسب،التي يمكن تلخيص جوهرها " إن الفعل خلق لله كسب للإنسان "[2]

والأشاعرة هنا يقرون أن جميع المخلوقات في عالمنا،بما في ذلك أفعال الإنسان هي مخلوقة من قبل الله وأن الإنسان يكتسب الفعل أو الفعلين بمجرد قيامه بهما في سياق حياته.

الاستطاعة و الفعل:الاستطاعة تكمن في الفعل، حيثأن الاستطاعة توجد قبل الفعل، مما يعني أنه إذ كانت الاستطاعة موجودة قبل الفعل يجب أن تظل حتى إتمام الفعل،وهذا غير صحيح.

إن القدرة هنا على الكسب هي حالة عرضية وليست ثابتة،ولايمكن أن تستمر إلى الأبد، فإذا تم وقوع الفعل قد وقع بقدرة كانت موجودة في الماضي ولكنها انتهت .

---

[1]- المرجع نفسه , صفحة 272.

[2]- د علي عبد فتاح المغربي الفرق الكلامية الإسلامية ,مدخل ودراسة, المرجع السابق, صفحة 280 .

تكليف مالا يطاق ممكن: توصل الأشاعرة إلى أن تكليف مالا يطاق أمرجائر، ولا يعد ظلما لأحد، وذلك لأن الظلم هو تصرف المالك فيما لايملك، ولأن هذا الكون كله مخلوق وملك له " أليس من الخير أن تسقط الأمطار في البادية لكي يسقى الناس الزرع والحيوانات، حتى وإن أدى سقوط المطر هذا إلى هدم منزل عجوز فوقه ..."[1]

يعني ألا نواجه أحيانا أعمالا لا نرضى عنها ونشعر بالحزن لحدوثها لكننا سرعان ما نحمد الله على وقوعها ؟ فالأفعال الطيبة تتعدد أوجهها وقد تدركها العقول وقد لا تدركها , ولكن عدم إدراكها لا ينبغي أن يدفعنا إلى وصف الله بالجور أو اعتبار أفعاله شريرة

مفهوم الإيمان عند الأشاعرة: فيما يتعلق بقضية الإيمان، نجد أن الخوارج يكفرون مرتكب الكبيرة، بينما يرى المعتزلة أنه ليس كافرا ولا مؤمنا بل فاسق، أما الأشاعرة فتعتمد رأي توفيقيا، إن صح التعبير، يعنى إذا ارتكب المسلم معصية، فإن ذلك لا يؤدى إلى تكفيره، بل يبقى على إيمانه، وإن كان مخطئا في فعله.

رؤية الله: بينما أدت النزعة العقلية لدى المعتزلة إلى نفي رؤية الله في الآخرة، فإن الأشاعرة قررت أن رؤية الله ممكنة وأن المؤمنون سيرونه في الآخرة، فإن الأشاعرة قررت أن رؤية الله ممكنة وأن المؤمنون سيرونه في الآخرة، ومع ذلك لم تعنى رؤية الله لدى الأشاعرة أنه الرؤية الإلهية تشير إلى مشاهدة الوجود الإلهي وليس الرؤية الحسية.

رؤية الله هي إدراك يتجاوز مجرد العلم بوجوده سبحانه وهو إدراك لايتطلب تأثيرا وتأثرا، أي أنه لا يشبه الإدراك الحسي للمحسوسات.

الأشاعرة والإمامة :تؤمن الأشاعرة بضرورة وجود إمام للمسلمين ويجب أن يكون الإمام معروفا وظاهرا للجميع , حيث إن معرفة الإمام تعتبر شرطا أساسيا لطاعته

1- المرجع نفسه, صفحة 286 .

3-الخوارج:

الخوارج هم جماعة تمردت على حكم علي بن أبي طالب، وشكلوا حركة ذات طابع ديني وسياسي، تصدت للسلطة القائمة انطلاقا من فهمهم الخاص للدين، لم يعتبروا أنفسهم خارجين عن الدين، بل كانوا يرون خروجهم وسيلة لتحقيق شرع الله، لم يكترثوا لما قد يترتب على ذلك من انقساماتوصراعات داهية، بل جهروا بمعتقداتهم وأصروا على تطبيق مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ومن بين أهم المبادئ التي يقول بها معظم الخوارج هي :

رأيهم في الإمامة :لا شك أن قضية الإمامة كانت محور اهتمام الخوارج ولم يكن ذلك مقتصرا على الشيعة وحدهم، إذا أن الخلاف حول هذا المبدأ كان أحد الأسباب الرئيسية لظهور الخوارج، كما تمسك الخوارج بفكرة أن القرآن الكريم لم يحدد نسلا معينا يكون منه الإمام بل اشترط أن يكون منه الإمام بل اشترط أن يكون الحاكم عادلا فيقول الله تعالى :" ...وَإِذا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كانَ سَمِيعاً بَصِيراً"[1]

لا يوجد في ذلك تحديد لقبلية بعينها،وبناءا على ذلك، لم يشترط القرآن أن يكون الإمام من قريش أومن غيرها، إّ أن المعني يشير إلى الشمول والعموم.

موقفهم من علي بن أبي طالب : ذكرنا سابقا أن فرقة الخوارج نشأت من بين أنصار علي بن أبي طالب , حيث اعتبروه الإمام الشرعي نتيجة لمبايعة أهل الحل والعقد له , وقد قاتلوا إلى جانبه في معركة الحمل وظلوا متمسكين بتأييدهم له في مواجهة معاوية, غير أن موقفهم بدأ يتغير عند ظهور مسألة التحكيم , إذ اتسمت تصرفاتهم بالتناقض فبعد أن قبلوا التحكيم في البداية ,سرعان مارفضوه , ثم تمردوا على علي بسبب قبوله به

[1]- سورة النساء , أية 58

وذلك لاعتقادهم الراسخ بأن شرعية خلافته تستند إلى مبايعة أهل الحل والعقد ,وأن قول الله تعالى " وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ "[1]

يشير ذلك إلى أن الشخص المسالم يكون خاضعا لسلطة من صالحة,وبناءا على هذا الرأي، يعتبر على قد أخطأ بقبوله التحكيم، حيث عين رجلين للفصل في البشر بل أن يطالب معارضيه بالامتثاللأوامره دون أي شروط أو قيود.

خلود صاحب الكبيرة :يذكر الأشعري أن الخوارج على اعتبار كل كبيرة كفرا، باستثناء التحديات الذين لم يوافقوا على هذا الرأي، كما اتفقوا جميعا على أن الله سبحانه وتعالى يعذب أصحاب الكبائر بعذاب دائم "وموقف الخوارج من صاحب الكبيرة وخلوده في النار يوافق رأي المعتزلة، وإن افترقت عنهم المعتزلة في القول بأنه لايعذب عذاب الكافرين والتوقف عن تسميته، ويخالفون رأى أهل السنة في جواز العفو عن مرتكب الكبيرة وعدم خلوده في النار "[2]

أي أن الخوارج والمعتزلة يتفقون في أن مرتكب الكبيرة يخلد في النار، لكنهم يختلفون في وصفه في الدنيا أما أهل السنة يخالفون الفريقين تماما، حيث يرون أن مرتكب الكبيرة مسلم وقد يغفر الله له، وإن عذب فإنه لا يخلد في النار.

مجمل آراء الخوارج الكلامية: نشأ الخوارج نتيجة للاضطرابات السياسية التي شهدتها تلك الفترة، حيث انصب اهتمامهم على المقاومة والثورات ضد السلطة القائمة، وخاضوا معارك عديدة مع خصومهم إلى جانب ذلك، تميزوا بنهج عملي في القتال والإبادة، مما جعلهم أكثر انشغالا بالأفعال من التنظير ونتيجة لذلك، كان إنتاجهم في المسائل الكلامية محدودا، لكنه لم يكن معدوما،استندت مواقفهم العملية إلى أسس عقائدية ونظرية.

---

[1]- سورة الأنفال ,أية 61

[2]- د على عبد فتاح المغربي الفرق الكلامية الإسلامية , مدخل ودراسة ,المرجع السابق ,صفحة 177

وفي الختام نستنتج أن المعتزلة اعتمدوا على العقل وجعلوه الحكم الأساسي في العقيدة، بينما الأشاعرة سلكوا طريقا وسطيا يجمع بين العقل والنقل في حين أن الخوارج تميزوا بالتشدد في الأحكام والعقيدة، مما أدى إلى مواقف صارمة تجاه المخالفين.

وفي العصر الحديث، برز علم الكلام الجديد كمحاولة لتقديم فهم متجدد للعقيدة الإسلامية، مستفيدا من تطوارات الفلسفة والعلوم الإنسانية، وعلى خلاف الاتجاهات التقليدية التي ركزت على الجدل الكلامي الكلاسيكي، يسعى علم الكلام الجديد إلى معالجة قضايا الإيمان والعقل والتحديات الفكرية المعاصرة، مما يجعله امتدادا تطوريا للنقاشات الكلامية التاريخية بروح أكثر انفتاحاونقدية.

الفصل الثـــاني:

علم الكلام الجديد

الفصل الثاني : علم الكلام الجديد

تمهيد

يُعَدّ علم الكلام من أبرز العلوم الإسلامية التي نشأت لخدمة العقيدة والدفاع عنها ضد الشبهات. وقد تطور هذا العلم عبر العصور تبعًا للسياقات الفكرية والثقافية التي واجهها المسلمون. في العصر الحديث، ظهر ما يُعرف بـ علم الكلام الجديد، الذي يسعى إلى معالجة القضايا العقدية والفكرية باستخدام مناهج حديثة تستفيد من تطورات الفلسفة والعلوم الإنسانية والاجتماعي.

وسأحاول في هذا الفصل تقديم رؤية شاملة حول ماهية علم الكلام الجديد، من خلال التعريف بمفهومه ونشأته وتطوره، بالإضافة إلى مناهجه الفكرية وقضاياه الأساسية. كما سيتم التطرق إلى مقارنة بين علم الكلام القديم والجديد، مع تسليط الضوء على مفهوم التجديد ودواعيه، خاصة في ظل التحولات الفكرية والاجتماعية التي فرضها العصر الحديث .ويعدّ التجديد في علم الكلام استجابةً ضرورية للتحديات الجديدة التي تواجه الفكر الديني، سواء أكانت تلك التحديات نابعة من داخل المنظومة الإسلامية نفسها أم من تأثيرات الحداثة والعلمانية والفلسفات المعاصرة. ومن بين أبرز المفكرين الذين ساهموا في صياغة ملامح علم الكلام الجديد، يبرز اسم عبد الجبار الرفاعي[1]*، الذي قدّم أطروحات متميزة في تجديد الفكر الديني، خاصة من خلال تركيزه على البعد الروحي والإنساني في الدين.

*عبد الجبار الرفاعي:مفكر عراقي بارز، متخصص في الفلسفة وعلوم الدين، وأحد مؤسسي علم الكلام الجديد وفلسفة الدين .وُلد الدكتور «عبد الجبار الرفاعي» عام 1954م بمحافظة ذي قار في العراق، وتخرَّج في المعهد الزراعي الفني عام 1975م. جمع بين الدراسة الحديثة وبين دراسة الفلسفة وعلوم الدين في الحوزة العلمية «معاهد علوم الدين التقليدية» بالنجف وقُم، وحصل في الدراسة الجامعية على بكالوريوس المعارف الإسلامية بامتياز عام 1988م، وعلى درجة الماجستير في علم الكلام عام 1990م، وعلى الدكتوراه في الفلسفة الإسلامية بامتياز عام 2005م، وعلى درجة الأستاذية عام 2012م، وأشرف على عدد كبير من الأطروحات العلمية لدرجتي الماجستير والدكتوراه، وكُتِبَت 25 أطروحة دكتوراه ورسالة ماجستير حتى سنة 2024م لدراسة

المبحث الأول :ماهية علم الكلام الجديد

مفهوم علم الكلام الجديد:

يعد علم الكلام الجديد امتدادا لعلم الكلام القديم , حيث يتفق العلمان في الغاية , غير أن صفة "الجديد" لاتعني تغير جوهر العلم ذاته ,وإنما تشير إلى تجديد بعض جوانبه المعرفية ,مثل المسائل ,والموضوع ,والمناهج والمبادئ وغيرها , ويستوعب هذا التجديد ضمن منظومة العلم, ليصبح "الجديد "دالا على التحولات التي طرأت على بعض أبعاده المعرفية ,مما يميزه عن علم الكلام التراثي . وبما أن تمايز العلوم يعتمد على اختلاف أغراضها , والغرض من علم الكلام الجديد لم يختلف عن نظيره في القديم , فإن جوهر العلم ذاته يبقى ثابتا , مما يجعل علم الكلام الجديد بمثابة مرحلة متطورة ضمن مشروع تكاملي يعرف بعلم الكلام .[1]

مشروعه التجديدي .شغل «الرفاعي» عددًا من الوظائف البارزة؛ منها: رئيس تحرير مجلة قضايا إسلامية معاصرة المتخصصة في فلسفة الدين وعلم الكلام الجديد، منذ إصدارها سنة 1997م، ورئيس مركز دراسات فلسفة الدين في بغداد، وهو عضو المجمع العلمي العراقي، وأستاذ دراسات عليا لفلسفة الدين وعلم الكلام الجديد وعلوم الدين في عدة جامعات .يُعدُّ «الرفاعي» صاحب مشروع في تجديد الفكر الديني؛ إذ يبدأ مشروعه بتجديد علم الكلام بوصفه نظرية المعرفة في الإسلام، ومنه تتوالد علوم الدين برأيه. وعلى امتداد أكثر من ثلاثين عامًا، كرّس مُنجَزه لبناء أرضية معرفية لفلسفة الدين وعلم الكلام الجديد بالعربية، وبلغت مؤلفاته نحو 52 كتابًا؛ ومن أبرزها: «مقدمة في علم الكلام الجديد»، و«مبادئ الفلسفة الإسلامية»، و«محاضرات في أصول الفقه»، و«الهرمنيوطيقا بوصفها منهجًا للتفسير عند أمين الخولي»، و«الدين والنزعة الإنسانية»، و«الدين والظمأ الأنطولوجي»، و«الدين والاغتراب الميتافيزيقي»، و«مقدمة في السؤال اللاهوتي الجديد»، و«الدين والكرامة الإنسانية»، و«مسرّات القراءة ومخاض الكتابة: فصل في سيرة كاتب»، و«مفارقات وأضداد في توظيف الدين والتراث .«نال «الرفاعي» العديد من الجوائز؛ من أبرزها: «الجائزة الأولى للبطريركية الكلدانية لأفضل الأعمال الفكرية» عام 2020م، و«الجائزة الأولى للإنجاز الثقافي والتفاهم الدولي» في الدوحة عام 2017م، و«الدرع الذهبية للحركة الثقافية» بأنطلياس في لبنان، وغير ذلك من الجوائز الرفيعة. أنظر إلىعبد الجبار الرفاعي ، مقدمة في علم الكلام ,HINDAWI.ORG_, تاريخ الدخول 27_2_2025 , تاريخ الخروج ن ت , على الساعة 4:19 , تم الخروج على 4:20.]

[1]- إدريس بن علي البارقي ,مفهوم علم الكلام الجديد ونشأته , المجلة العربية للدراسات الإسلامية والشرعية, المؤسسة العربية للتربية والعلوم والأداب ,مصر 7 [23] ,أبريل 395 _408, صفحة 400

عرفه لنا محمد مجتهد شبستري بقوله "هو العلم الذي تناقش مباحثه قضايا من قبيل معنى وحقيقة الدين , والجوهر والعرض في الدين ,والقاسم المشترك بين الأديان , والتعددية الدينية ,والدور الديني في حياة الفرد والجماعة ....."[1]

يشير هنا إلى أن علم الكلام الجديد لم يعد يقتصر على الدفاع عن العقائد الدينية في وجه الاعتراضات كما في علم الكلام التقليدي ,بل أصبح يهتم بأسئلة فلسفية حديثة تتعلق بفهم طبيعة الدين نفسه , وعلاقته بالمجتمع , وإمكان التعددية الدينية , وكيفية تأثير الدين على الأفراد والجماعات .

ويعرف علي أوجبي علم الكلام الجديد على أنه " علم يعني بتبين المفاهيم والعقائد الدينية , وإثباتها ودحض الشبهات التي ترد على أسس الدين وأصوله ,والهدف منه تمتين أسس العقيدة الإسلامية بواسطة البرهان العقلي واليقيني وترسيخ الإيمان في النفوس ...." [2]

أي أن علم الكلام الجديد يمثل تطورا متكاملا لعلم الكلام القديم , أو أنه يعكس مرحلة متقدمة من النضج العلمي والفكري لهذا العلم , فهو لايختلف عن علم الكلام التقليدي إلا من حيث قضاياه ومبادئه , مما يعني أن التجديد في علم الكلام لايستلزمالقطيعة مع التراث الكلامي القديم .

نشأة علم الكلام الجديد :

شهد الفكر وحياة الإنسان الغربي تحولات جذرية منذ بداية النهضة الأوروبية وحتى منتصف القرن التاسع عشر , حيث واجه المفكرون المتدينون مبادئ وأسس جديدة أحدثت تغييرات جوهرية , فقد انهارت المفاهيم التقليدية في الفيزياء والميتافيزيقا , لتفسح المجال أمام تطور العلوم الحديثة , مما أدى إلى إعادة تشكيل تصور الإنسان لذاته , وللطبيعة , وللعالم من حوله , كما تغيرت مكانته داخل الوجود , وبرزت مفاهيم جديدة تتعلق بالإنسانية ,

---

1- سعيد عبيدي , علم الكلام الجديد كآلية من آليات إصلاح وتجديد الخطاب الديني ,مجلة وجهات النظر ,صفحة 373

2 إدريس بن علي البارقي، مفهوم علم الكلام الجديد ونشأته ، المرجع السابق، صفحة 401

والحقوق والحرية والواجبات، والمعرفة وغيرها من القضايا الأساسية أنتج كل علم من هذه العلوم شبهات جديدة أضعفت فكرة الدين بشكل عام , حيث أصبحت هذه الشبهات تمس مختلف جوانب الحياة ,لذا بات على علم الكلام أن يدافع عن نفسه متجنبا الجدالات العقيمة ,وأن يواجه الرؤى الجديدة المطروحة في ساحة الفكر , كما ينبغي له إعادة بناء منظومته على أسس تتماشى مع نضج الفكر الديني وتراثه ,مستفيدا من التفاعل مع التطورات العلمية الحديثة , فقد أصبحت الحاجة ماسة إلى الدفاع عن العقيدة الإسلامية مجددا , استنادا إلى معطيات العلوم التجريبية , والنفسية , والاجتماعية واللغوية والفلسفة الحديثة .[1]

" وأما نشأة مصطلح علم الكلام الجديد , فظهر أول مرة كعنوان لكتاب شبلي النعمانى , لكننا لانستطع أن نجزم بأنه هو أول من نحت هذا المصطلح الذي وضع عنوانا للاتجاه الحديث في إعادة بناء علم أصول الدين , لكنه كان من أوائل الداعين إلى تجديد علم الكلام بنية الرد على الشبهات الحديثة ,والدفاع عن الشريعة الإسلامية. "[2]

فقد شهد مشروع تجديد علم الكلام، أو مايعرف بعلم الكلام الجديد،تطورا نوعيا جريئا ومنفتحا في طرحه، خاصة مع المدرسة الإيرانية، وبرز ذلك بشكل خاص في أعمال محمد شبستري وكتابات عبد الكريم سروش،الذي ألف العديد من المؤلفات في تجديد علم الكلام والتفكير الفلسفي والعلمي في أصول الدين وقضايا العقيدة.

إستند هذا الطرح إلى أسس معرفية مستمدة من العلوم الحديثة سواء الإنسانية كالتاريخ والأنثروبولوجيا، أو الطبيعة كالبيولوجيا والفيزياء، بهدف تقديم تأويل فلسفي علمي لتجربة النبوة ونزول الوحي، كما سعى إلى فهم طبيعة الاتصال بين الله والإنسان، مما قاده

[1]- davudsoylu ,أراء علماء قارة هندية , في تجديد علم الكلام ,محمد اقبال ووحيد الدين خان انموذجا ،مرجعسابق ,ص 32

[2] davudsoylu ,أراء علماء قارة هندية , في تجديد علم الكلام ,محمد اقبال ووحيد الدين خان انموذجا ، مرجع سابق ,صفحة 323

إلى إعادة النظر في لغة القرآن وقضايا المعنى والدلالة، وطرح مقاربة جديدة لنظام الحياة وأصول الاجتماع، مع التركيز على مفاهيم الحقوق والواجبات.[1]

ومع تطور علم الكلام الجديد، برز عدد من المفكرين الذين كان لهم دور محوري في تأسيسه وتجديد موضوعاته، ومن أبرز هؤلاء الممثلين نذكر:

1. شبلي النعماني.[2]* : دعا فيه إلى تجديد الخطاب بهدف الرد على الشبهات المعاصرة والدفاع عن الشريعة.

2. وحيد الدين خان[3]* : حث على التحرر من منهج علم الكلام التقليدي وإرساء علم الكلام جديد يواكب تحديات العصر.

3. فضل الرحمن[4]*: اعتمد تفسيرا حديثا للقرآن ركزعلى الكليات والبعد الأخلاقي، وأعاد بناء علم الكلام بمنهج موضوعي , مما جعله من رواد الكلام الجديد , قبل انتقال الريادة إلى مفكري إيران الذين طوروا أفكار إقبال.

---

[1] ,إدريس بن علي البارقي ,مفهوم علم الكلام الجديد ونشأته ,المرجع السابق صفحة 401 ,402 .

[2] *شبلي النعماني: مولود في قرية بندول بولاية أترابراديش شمال الهند .كان من أبرز علماء وشخصيات شبه القارة الهندية في العصر الحديث,أضاف النعماني لإسمه تعبيرا عن إنتسابه لمذهب الإمام أبي حنيفة نشأ في بيئة علمية ودرس على يد مشايخ من مدارس فكرية متنوعة ,فجمع بين الثقافة الإسلامية التقليدية والمعارف الغربية الحديثة . انظر: دزهيركتفي ,علم الكلام من مسار التقليد إلى إستئناف التجديد " العلامة شبلي النعماني مثالا ", صفحة 189

[3] *وحيد الدين خان :مفكرمعاصر , ولد عام 1925 م,فيمدينة " أعظم جره " بالهند , سعى في فكره إلى التوفيق بين المنهج الإسلامي والمنهجين العلمي والفلسفي.تتسم كتاباته بالأسلوب التحليلي العلمي , ويعد من أبرز المفكرين الذين جمعوا بين التأمل العميق في ظواهر العصر وتحليلها , والإيمان بأن ثقافة الإسلام تتسم بخصائص تميزها عن غيرها . لذلك إستطاع أن يقدم ردودا مقنعة على نظريات المدارس التربوية الغربية المعاصرة كما تناول العديد من القضايا المهمة مثل العلاقة بين الإسلام والحداثة والدين في مواجهة العلم , والإسلام في العصر الحديث ,وحكمة الدين وتجديد علم الدين إلى جانب بحثه في العلاقة بين المسلمين والماضي والحاضروغيرها . انظر: مجلة الدراسات العربية ,المقياس الإستدلالي وأثره على الفكر الديني عند وحيد الدين خان ,د ناصرمحمد عبد اللطيف المهدي , صفحة 537

[4] *- فضل الرحمن :ولد في باكسان ونال درجة الدكتوراء في الفسلفة من جامعة أكسفورد , وعمل أستاذا لدراسات الإسلامية في الجامعة شيكاغو حتى وفاته , تميزت أعماله بتناول الحداثة من منظور إسلامي وركز إهتمامه على دراسة القيم والأخلاق والمثل العليا , خاصة في القرآن الكريم .انظر : علم الكلام الجديد : المفاهيم والمنهج والموضوع [دراسة مقارنة مع علم الكلام التراثي , حامد فتحي حامد ,دبلوم فلسفة من جامعة القاهرة ,بكلوريوس اعلام من جامعة القاهرة , صفحة 9

4_مرتضى مطهري:[1]: أكد مطهري أن من أبرز مهام العلماءالمسلمين تأسيس علم الكلام الجديد،يتناول قضايا معاصرة مثل نظريات منشأ الدين، وإعادة بحث المسائل الكلامية القديمة في ضوء الشبهات والإشكاليات الحديثة

كما برز في العراق تيار فكري يربط بين المفكرين الإيرانيين والعرب، ومن رموزه عبد الجبار الرفاعي.[2]

بناء على ما تم ذكره، لا يجب أن نعتبر أن تجديد علم الكلام يعود إلى شخص واحد فقط، لأن تجديد هذا العلم، بعضهم عمل على تحديث الموضوعات وآخرون على تحسين اللغة، وآخرون على تطوير المباني، وبعضهم ساهم في كل هذه الجوانب.[3]

مناهج البحث في علم الكلام الجديد:

" المتكلمين السلف كانوا أحاد المنهج، بينما المتكلمون اليوم متعددو المناهج "[4] تشير هذه العبارة إلى جانب أساسي في قدرة علم الكلام على التطور إذ لا خلاف على ضرورة اعتماد مناهج جديدة تتناسب مع الشبهات والمسائل المستحدثة، ومع ذلك يظل هناك جدل حول مدى حدود هذا التجديد في المنهج وكذلك حول معنى توظيف المناهج الحديثة بما تحمله من أسس معرفية ومتطلبات منطقية.

---

1 - مرتضي المطهري :ولد الشيخ مرتضي المطهري عام 1920, في مدينة تربت حيدريةبمحافضة خرسان الإيرانية , في أسرة عرفت بالعلم بدا تعليمه على يد والده, ثم إنتقل إلى مشهدوهو في 12 لدراسة العلوم الدينية فإلتحق بالحوزة العلمية عام 1932م ,وبعدها سافرإلى قم لإستكمال دراسته ,فدرس الفلسفة والمنطق على يد علماء بارزين ,منهم السيد محمد حسين الطبطبائي , كما حضر دروس السيد آية الله البروجردي وتأثر به في الفقه والأخلاق , وفي عام1946م ,إنتقل إلى طهران بدعوةمنالبروجردي ,رغم ماواجهه من صعوبات , فواصل تعليمية وألقى المحضارات , وكان له دور بارز في الدفاع عن الإسلام, متأثرا بالشيخ عبد القادر الجيلاني والإمام الحسن عليها السلام. انظر: الإنسان الكامل عند مرتضى المطهرى ,م.د.نزار عبد الامير تركي , صفحة 236.

2 حامد فتحي حامد , علم الكلام الجديد .المفاهيم والمنهج والموضوع (دراسة مقارنة مع علم الكلام التراثي) , دبلوم الفلسفة من جامعة القاهرة بكالوريوس الإعلام من جامعة القاهرة , مركز نهوض للدراسة والبحوث , ص 7_10 .

3- davudsoylu ,أراء علماء قارة هندية , في تجديد علم الكلام ,محمد اقبال ووحيد الدين خان انموذجا, مرجع سابق ,ص 324.

4- د أحد قرامكي , الهندسة المعرفية للكلام الجديد, قضايا إسلامية معاصرة,ترجمة : حيدر نجف وحسن العمري ,مراجعة : عبد الجبار الرفاعي , دار الهادى , مكتبة مؤمن قريش , طبعة الأولى 1423 ه_2002 م , صفحة 126

والقول أن " المتكلمين الماضيين التزموا بمنهج واحد في حين يوجد في الكلام المعاصر تنوع منهاجي "[1]

يفتقر هذا القول إلى الدقة التاريخية، فقد بين في دراساتنا حول الصيغة الدفاعية لعلم الكلام أن التنوع المنهجي يعد من خصائص هذا العلم، أولئك الذين اعتبروا علم الكلام فن الجدل لاحظوا هذه الخصوصية المتعلقة بالتنوع المنهجي وبالتالي، يمكن وصف علم الكلام بمحدودية المنهج عندما يتعلق الأمر بالتعريف المبني على الصيغة الدفاعية له .

من منظور مقام التحقق، يظهر التأمل في تنوع الأنظمة الكلامية والتاريخ الغني لعلم الكلام وأن المتكلمين لم يلتزموا قط بمنهج واحد، ويجدر هنا الإشارة إلى استعراض الفارابي لمناهج وأساليب المتكلمين المتعددة، مما يؤكد أن علم الكلام سواء في الماضي أو الحاضر، تميز بتعدد المناهج وتنوع المقاربات نذكر منها :

1-المنهج التاريخي الوصفي: يتبع المؤلفون في هذا النهج الأسلوب التاريخي والوصفي، دون إصدار أحكام على المقولات أو نقدها. هذا المنهج لا يحقق الدورالمنشود للعالم، كما أنه ليس النهج الشرعي في بيان الحق والتحذير من الباطل.

2-المنهج الذوقي [الوجداني] : هنا نصل الي اتجاهمتميز آخر يتناول المباحث الكلامية بأسلوب رمزي ذوقي خاص بالصوفية , يختلف تماما عن منهج المتكلمين الذى يعتمد على العقليات ثم السمعيات , يرتكز هذا الاتجاه على تصفية الباطن واستكمال الظاهر بهدف الوصول إلى مرحلة الفناء في الحب الإلهي ,وهو منهج الصوفية الذى كان الإمام الغزالي أحد أبرز رواده ,كما يتضح في كتابه "إلجام العوام في علم الكلام " على حد تعبيره أن هذا نهج الخاصة , وما دونه هو نهج العامة ,ومن لميميز نفسه عنهم, فإنه قد يعرف الأدلة لكنه لايجيد الاستدلال .

[1]- المرجع نفسه , صفحة 126

3- المنهج العلمي [التجريبي] : هذا منهج حديث تبناه بعض المفكرين الإسلامين متأثرين برواد الفكر الأوروبي الحديث ,فتسلل إلى مصر والهند والعراق وإيران ,ثم انتشر في مختلف البلدان الإسلامية ,يعرف اليوم بالحداثة وله أنصاره ورواده , ويعد من التيارات الفكرية المعاصرة الوافدة من الغرب إلى العالم الإسلامي يتميز أتباعه برؤية خاصة لأدوات المعرفة البشرية إذ يعتمدون بشكل كامل على الحس والتجربة , ويرفضون المنهج العقلي والمنطق الأرسطي رفضا قاطعا , كما سعوا إلى دراسة المعارف العليا ,بما في ذلك الميتافيزيقا والدين باستخدام مناهج العلوم الطبيعية والتجريبية .

4- المنهج الفطري[العرفانى] : وهو نهج الإسماعيلية ,حيث يمثل التيار الإسماعيلى البعد العرفاني والصوفي في الفكر الشيعى ,أو الدعوة الشيعية إلى التأويل الباطني في الإسلام , وقد بالغوا في اعتقادهم واتجهوا نحو العرفان والتصوف , معتمدين في منهجهم على الأدلة العقلية والنصوص الشرعية [النقل] والذوق السليم ,هذا المنهج يوازن بين مختلف أدوات المعرفة دون تعصب أو جمود , وأتباعه يتجنبون الانخراط في المناظرات الكلامية المعقدة , مستندين إلى أحاديث أهل البيت والصحابة _رضوان الله عليهم_ التى تنهي على الخوض في الجدل والخصومات إلا للضرورة أولدحض شبه المعاندين . ويرون أن المتكلمين رغمانتمائهم لفرقة واحدة ومذهب واحد، يختلفونفيما بينهم حول مئات المسائل. ويتميز هذا النهج بابتعاده عن المجادلات الكلامية والتجريدات النظرية، مع حفاظه على معالم الفطرة بفضل الذكر والوحي، مما يجعله منهجا تكامليا يجمع بين النقل والعقل.

5- المنهج المقارن: يستخدم المنهج المقارن على نطاق واسع في الدراسات القانونية والاجتماعية، حيث تتم مقارنة الظواهر الاجتماعيةبنظيرتها في مجتمعات أخرى أو تحليلها ضمن السياقات الاقتصادية والسياسية والقانونية المختلفة. ويسهم هذا المنهج في تحقيق دقة أعمق في الدراسة، مما يتيح إمكانية التركيز على جانب محدد من المؤسسات الاقتصادية مثل الأداء أو الموارد البشرية، كما تساهم المقارنة في خصائص كل موضوع محل الدراسة، مع توضيح أوجه التشابه والاختلاف بينهما.

وهو منهج يقوم بربط الموضوعات المختلفة يهدف تحديد أوجه التشابه والاختلاف بينهما، ثم التوصل إلى حكم مدعوم بنتائج هذه العملية.

6-**المنهج العلمي التجريبي** :وهو منهج مستمد من الفكرة الأوروبية الحديثة، يعتمد فقط على الأساليب الحسية والتجريبية، ويرفض أي منهج آخر , مثل المنهج النقدي أو العقلي.

يسعى الباحث لاكتشاف المعارف الإلهية من خلال أساليب العلوم التطبيقية والتجربة الميدانية. ولاشك أن هذا المنهج العلمي قد مر بمراحل عديدة من التطور، تماما كما تطورت الحضارة الإنسانية، فقد كان الإنسان الأول يستخدم هذا الأسلوب دون وعي , بينما أصبح اليوم منهجا متكاملا يطبق وفق أسس علمية راسخة وتبرز أهمية المنهج التجريبي بوضوح في مجالات العلوم البحتة والتطبيقية.[1]

قضايا علم الكلام الجديد[موضوعاته] :

لم يؤسس علم الكلام الجديد موضوعات لم يسبق بحثها أو حضورها في الساحة الفكرية الإسلامية، بل اقتصر دور المقترحين على تنظيم القضايا والمباحث الكلامية عبر تجميع أبرز المسائل التي برزت مؤخرا أمام المفكرين المسلمين وقد تناولت هذه الموضوعات قضايا فكرية وعقائدية جوهرية دون أن تقتصر على علم محدد كعلم الفقه أو الأصول، بحيث لا تصنف بطبيعتها كمسائل أصولية أو فقهية.

غير أن غياب تحديد دقيق لموضوع هذا العلم ومداه أدى إلى خلط في مضمونه وهو خلل جوهري , إذ أن تحويل علم الكلام إلى مجرد إطار تجميعي لمسائل متفرقة قد يجعله بمرور الوقت، مزيجا متناقضا من الموضوعات والاهتمامات التي تفتقر إلى ربط واضح،وهذا

[1] الزبير طهراوي , فاروق خلف ,تجديد مناهج البحث في علم الكلام الإسلامي , حوليات جامعة الجزائر _1_ مجلد 35, العدد 01_2021, صفحة 490, 491, 492

من شأنه أن يؤدى على المدى البعيد إلى فقدان هذا العلم لمنهجه الموحد وتناسقه المنطقي المنسجم.[1]

إختلف دعاة التجديد وأنصار دفع علم الكلام في هذا الموضوع إلى قولين:

أولهما:" أن الموضوع تغير, وتغير الموضوع هو ملاك تغير العلم ..... "[2]

أبرزما يميز تطور علم الكلام هو التحول الجوهري الذى طرأ عليه، حيث اختلفت المركز المحوري الذي كانت تدور حوله الأبحاث الكلامية في الماضي عن ذلك الذي تتمحور حوله اليوم، وهذا الاختلاف يبرر التمييز بين الكلام القديم وعلم الكلام الجديد.

أخرهما:" التوسع في موضوع علم الكلام ليشمل الكثير من القضايا التي لم تكن تبحث سابقا ولا تعطى أدنى اهتمام في نطاق هذا العلم , وذلك كالأمور القيمية والحقوقية والإنسانية مثلا "[3]

أي أن علم الكلام لم يعد يقتصر على القضايا التقليدية التي كان يبحث فيها سابقا مثل المسائل العقائدية واللاهوتية , بل توسع ليشمل موضوعات جديدة لم تكن تناقش ضمن هذا المجال من قبل.

ومن بين هذه الموضوعات القضايا القيمية، مثل الأخلاق والمبادئ الإنسانية، والحقوقية، مثل العدالة وحقوق الإنسان، وكذلك المسائل الإنسانية الأوسع التيتتعلق بحياة الأفراد والمجتمعات، هذا التوسع يعكس تطور علم الكلام ليواكب التحديات الفكرية والاجتماعية الحديثة.

---

[1] حيدر حب الله ,علم الكلام المعاصر , طبعة 1, مركزالعالمي للدراسات الإسلامية ,د,ت,صفحة245,246

[2], شيخ ود إبراهيم بدوي, علم الكلام الجديد نشأته وتطوره,طبعة 2 ,1430ه _ 2009 م ,توزيع ,دار المحجة البيضاء ,صفحة54

[3]المرجع نفسه , صفحة55

بعد أن تعمقنا في دراسة علم الكلام الجديد وتعرفنا على مفاهيمه، وكذلك استعرضنا مفاهيم ومناهج علم الكلام القديم , وأصبح من الضروري أن نقارن بينهما،فهذه المقارنة ستساعدنا على توضيح كيف تطورت المناقشات العقدية عبر العصور لمواكبة التغيرات الفكرية الفلسفية التي شهدها العالم الإسلامي .

المبحث الثاني : المقارنة بين علم الكلام القديم والجديد

تكمن أهمية المقارنة بين علم الكلام القديم وعلم الكلام الجديد في فهم كيف تطورت أدوات الدفاع عن العقيدة الإسلامية عبر العصور، وكيف تعامل المسلمون مع المستجدات الفكرية والثقافية المختلفة، كما تساعد هذه المقارنة في إبراز الفروقات المنهجية بين الاتجاهين، ومدى نجاح كل منهما في تحقيق أهدافه، وما يمكن أن يستفيده الفكر الإسلامي المعاصر من التراث الكلامي القديم مع تحديث أدواته وأساليبه.

ومن بين أهم الاختلافات القائمة بين علم الكلام القديم والجديد نذكر ما يلي:

1-الاختلافات في الأهداف:

كان علم الكلام القديم يهدف أساسا إلى الدفاع عن عقيدة الفرقة التي ينتمي إليها في مواجهة الفرق الكلامية الأخرى المخالفة لها. أما علم الكلام الجديد، فقد تجاوز مجرد الدفاع عن العقيدة ليشمل أهدافا أوسع وأعمق فهو يسعى أولا إلى إعادة صياغة القضايا الدينية والمذهبية ضمن منظومة معرفية متناسقة وثانيا إلى توضيح دلالات المفاهيم الدينية،وثالثا إلى إقامة البراهين العقلية على قضايا الدين , ورابعا إلى الدفاع عن العقيدة هدفا وحيدا للمتكلم الجديد، بل أصبح جزءا من مشروع فكري أشمل .

2- اختلافات في المنهج :

تتميز مناهج علم الكلام الجديد بتنوع أكبر مقارنة بمناهج علم الكلام القديم، فقد إعتمد المتكلمون القدامى على المنهجين العقلي والنقلي في استدلالاتهم، في حين أن المتكلمين الجدد وسعوا نطاق البحث ,فإلى جانب هذين المنهجين وظفوا أيضا المناهج التجريبية والتاريخية والشهوية , مما أضفى على علم الكلام الجديد طابعا أكثر شمولية وارتباطا بالمعرفة المعاصرة .[1]

3 –اختلافات في الموضوع:

يتفوق علم الكلام الجديد على علم الكلام القديم من حيث تنوع الموضوعات واتساع نطاقها، إذ لا يقتصر على القضايا التقليدية بل يتناول قضايا أعمق وأكثر شمولا" مباحث الكلام الجديد ومسائله أوسع بكثير من الكلام التقليدي، لأنه يتضمن الدفاع البراغماتي إلى جانب الدفاع الواقعي "[2]

إضافة إلى ذلك كان علم الكلام التقليدي يعنى بشكل أساسي بالقضايا الإخبارية، في حين وسع علم الكلام الجديد اهتماماته ليشمل القضايا الإنشائية، إلى جانب القضايا الإخبارية بل ركز على موضوعات محددة مثل الذات الإلهية، والصفات والافعال والنبوة والمعاد بينما يسعى علم الكلام الجديد إلى تناول قضايا دينية أخرى، سواء كانت إخبارية أم إنشائية.

وبذلك يتضح أن علم الكلام الجديد يختلف عن نظيره القديم في أهدافه ومناهجه وموضوعاته ومسائله، مما يجعله أكثر انسجاما مع التحديات الفكرية المعاصرة.

[1]محمد الشبه ,غاية المرام في تجديد علم الكلام, بحث محكم , قسم الدراسات الدينية ,13_3_2023, مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث , صفحة 20

[2]- نفس المرجع, صفحة 20

4-إختلافات في القبليات:

في علم الكلام القديم، كان المنهج يبدأ بالحديث عن الله وصفاته وأفعاله، ومن ثم الانتقال لمناقشة أفعال الإنسان والنبوة والقضايا الأخرى، أما في علم الكلام الحديث فإن التركيز يبدأ بالإنسان واحتياجاتهالواقعية، ثم يتناول قضايا الله والدين، وبالتالي، يتحول المحور من الإلهي في الكلام القديم إلى الإنساني في الكلام الجديد.

5 -الاختلاف في الاهتمام بين ماهو نظري وماهو عملي:

أصبح علم الكلام الجديد يركز على القضايا العلمية والواقعية بدرجة أكبر مقارنة باهتمامه بالقضايا النظرية والمجردة، خلافا لما كان عليه الحال في علم الكلام التقليدي .

يتضح إذن أن الفروق بين علم الكلام التقليدي والجديد تعود إلى عاملين أساسين الأول يرتبط بالتطور الهائل الذى شهدته مجالات الفكر والفلسفة والعلوم ,سواء الطبيعية أو الإنسانية , مما استدعى ضرورة تبني علم الكلام الجديد لغة ومفاهيم ومناهج ورؤى علمية حديثة تختلف عن تلك التي تأسس عليها علم الكلام القديم , نظرا لاختلاف السياق الثقافي والمعرفي الذى نشأ فيه كل منهما ,أما العامل الثاني , فيتعلق بتغير طبيعة حياة المسلمين في العصر الحديث من النواحي النفسية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية , مقارنة بحياتهم في الماضي , حيث نشأ علم الكلام القديم ,وهذا الاختلاف في الظروف هو ما استدعى الحاجة إلى تجديد علم الكلام ليواكب المتغيرات المعاصرة .[1]

مع بزوغ علم الكلام الجديد، وتجدد النقاشات الفكرية والعقدية، برز إلى الساحة مصطلح محوري يحمل دلالات عميقة في هذا المجال، وهو "التجديد" لم يكن هذا المفهوم مجرد كلمة عابرة بل أصبح ركيزة أساسية تعكس التحولات الفكرية والمنهجية التي طرأت على علم الكلام.

1- محمد الشبه ,غاية المرام في تجديد علم الكلام, بحث محكم، المرجع السابق, صفحة 21

المبحث الثالث: التجديد في علم الكلام.

مفهوم التجديد: لغة واصطلاحا

لغة: التجديد في اللغة يشير إلى استحداث الشيء وجعله جديدا، أي تحويله من حالته القديمة إلى حالة حديثة، كما ورد في "الصحاح" للجوهري. فالجدة تعني نقيض البلى ويقال: جد الشيء أي أصبح جديدا، وهو ضد الخلق والقدم، أما في القرآن الكريم فلم يرد لفظ "التجديد" بصيغة الصريحة، لكن ذكرت كلمة [جديد][1]

كما في قوله تعالى "وَقَالُوا إِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا "[2]

نرى في هذه الآية الكريمة أن القرآن يستخدم الكلمة للدلالة على بعث الشيء وإحيائه بعد انثارهوبلائه، وهو ذات المعنى اللغوي .

إصطلاحا: التجديد في الاصطلاح الشرعي يستند إلى معناه اللغوي مع إضافة دلالة خاصة تتعلق بالدين، حيث عرفه العلقمي بأنه " إحياء ما اندرس من العمل من الكتاب والسنة والأمر بمقتضاهما "[3]

التجديد في هذا السياق لا يعني الابتكار أو التغيير في أصول الدين، وإنما يعنى تصحيح الانحرافات، وإزالة البدع، ونشر الفهم الصحيح للكتاب والسنة.

كما عرفه المودودي بقوله "تنقية الإسلام من كل جزء من أجزاء الجاهلية، ثم العمل على إحيائه خالصا محضا على قدر الإمكان "[4]

---

[1]- د زهير كتفي, علم الكلام من مسار التقليد إلى إستئناف التجديد " العلامة شبلي النعماني مثالا ",مجلة معيار _ مجلد 25 ,عدد 60, سنة 2021 , صفحة 185 .

[2] - سورة الإسراء ,الأية 49

[3]- د - بابا واعمر خضير ,علم الكلام الإسلامي ...رؤية تجديدية ،مجلة إسهامات للبحوثوالدراسات , , مجلد 9 , العدد 1 [2018] , صفحة 263

[4]- د - بابا واعمر خضير ,علم الكلام الإسلامي ...رؤية تجديدية المرجع السابق، 263

يشير هذا التعريف إلى أن التجديد ليس مجرد إحياء للعمل بالكتاب والسنة، بل هو أيضا عملية تصفية وتنقية للإسلام من أي مؤثرات أو مفاهيم غير إسلامية [الجاهلية] , التي قد تكون تسللت إلى الفكر أو السلوك الإسلامي بمرور الزمن.

كما عرف عمر عبيد حسنة التجديد والاجتهاد بأنه ليس إلغاء أو تغييرا للنص، بل فهمه فهما قويما يوجه المسلم لمعالجة قضاياه وفق هدى الوحي في كل عصر.

كما يرى محمد عويضة أن التجديد يتمثل في " إحياء رسالة الإسلام في النفوس وفي المجتمعات، وتقديمه بصورة معاصرة تتطلب استيعاب كل معطيات العصر وحاجاته "[1]

يمكن استنتاج من التعريفات السابقة أن التجديد يعنى إحياء الجوانب الأساسية في الدين التي أهملها الناس أو تلاشت بسبب قلة الممارسة والتداول، بالإضافة إلى تنقية الدين من البدع والشوائب والانحرافات التي تسللت إلى فهم المسلمين كما يشمل التجديد تطبيق الدين في الواقع المعاصر بطريقة تواكب المستجدات، مما يعزز ارتباطه بالعصر ومتغيراته.[2]

دواعي التجديد:

يتطلب تجديد علم الكلام الإسلامي إعادة بنائه من خلال الاستفادة من نقاط قوته في التراث الكلامي القديم، مع تثمينها وتعزيزها وتجاوز جوانبه السلبية وأخطائه المنهجية وبعض القضايا المستجدة ومعالجتها، مع توظيف آليات ومعارف حديثة في الاستدلال العقدي والخطاب الديني، بحيث تتناسب مع ثقافة العصر وعلومه. وبهذا يستعيد علم الكلام الإسلامي حيويته الأصلية ودوره الإيجابي كأحد أهم العلوم الإسلامية ذات البعد المقصدي .

[1]- د زهير كتفي, علم الكلام من مسار التقليد إلى إستئناف التجديد " العلامة شبلي النعماني مثالا " المرجع السابق , صفحة 187

[2] - بابا واعمر خضير , علم الكلام الإسلامي ...رؤية تجديدية ، المرجع السابق ، صفحة 263

يمكن تلخيص أبرز الأسباب الدافعة إلى تجديد علم الكلام الإسلامي في جانبين رئيسين: أولهما يتعلق بالسلبيات وجوانب القصور في التراث الكلامي القديم، وثانيهما يرتبط بالحاجة إلى تطوير الخطاب العقدي ليتماشى مع متطلبات العصر وتحدياته، بما يمكن المسلم من الاستجابة الفاعلة لها وتتمثل هذه الدواعي فيما يلي:

1-لم يتمكن علم الكلام القديم من تحقيق وحدة متماسكة بين أبناء الأمة الإسلامية على الرغم من تعدد مدارسهم الكلامية ومذاهبهم , وذلك رغم أن وحدة الأمة تعد مقصدا شرعيا أساسيا، وثمارا طيبة تتبع من عقيدة التوحيد الصادق [1]

كما قال الله تعالى "وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ "[2]

لذا لابد من تجديد منهجية التعامل والخطاب مع غير المسلمين، بهدف دعوتهم إلى الإسلام بالحكمة و الموعظة الحسنة ,إلى جانب وضع أسس موضوعية للحوار مع المسلمين الذين يختلفون معنا في الرأي أو المذهب .

2-العديد من القضايا الكلامية التي ناقشها العلماء في الماضي، بصيغتها القديمة أصبحت جزءا من تاريخ الفكر الكلامي ولم تعد ملائمة لبناء إيمان راسخ أو تقويم السلوك المنحرف. كما أنها غير قادرة على أن تكون أساسا لحوار حي يقنع الملحدين والماديين في هذا العصر، نظرا لأن أسباب إلحادهم تختلف عن القضايا التي تناولها علم الكلام القديم، ونتيجة لذلك، لم يعد الكلام التقليدي قادرا على تلبية العديد من المتطلبات العقدية للمسلم المعاصر.

3_ أدى هيمنة المنطق الأرسطي على الاستدلال الكلامي , خاصة في الاعتماد على القياس وأشكاله واعتبار حقائقه غير قابلة للرد , إلى تغير منهجية التفكير لدى المتكلمين ,خاصة بعد القرن الرابع للهجرة , ونتيجة لذلك , انصرف اهتمام علماء الكلام عن

1- بابا واعمر خضير , علم الكلام الإسلامي ...رؤية تجديدية ، المرجع السابق, صفحة 264

2- سورة المؤمنون , أية 52

قضايا الواقع الاجتماعي والثقافي للأمة, وانشغلوا بالتنظير والتجريد , مما جعلهم يعيشون في عوالم ذهنية منفصلة عن الحياة الفعلية , أدى هذا إلى تفريغ العقيدة من أبعادها التربوية ومحتواها الاجتماعي وحصرها في تصورات ومفاهيم ذهنية مجردة لا تمت بصلة للواقع وبهذا أنشأت فجوة بين القول والعمل , مما أسفر عن إنتاج قضايا ومحاجات افتراضيهم تسهم في خدمة المجتمع المسلم أو النهوض به" خلافا لمنهج القرآن الكريم الذى جعل العقيدة الصحيحة طاقة حية لدى الفرد فإذا وعاها العقل وانغرست في القلب أنتجت سلوكا صالحا يصبغ مجالات الحياة بالإيمان ..."[1]

لقد أحكم القرآن الكريم الربط بين الإيمان والعمل، حيث رفع من شأن العمل، وجعل الذين أمنوا وعملوا الصالحات في منزلة رفيعة، مستحقين للعلو والرفعة.

4 – أدى ظهور فلسفات وضعية ومادية تهد الحياة الدينية للمؤمن، وهي فلسفات لم يعرفها الفكر الكلامي القديم، إلى استخدامها وتوظيفها في مختلف مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية والطبيعية، لذا أصبح من الضروري نقدها وتحليلها، مع بيان نقاط قوتها وضعفها .

5–يحتاج المؤمن في عصرنا إلى من يذب عنه الشبهات المستجدة والأباطيل المروجة التي تستهدف عقيدته ودينه الإسلامي، وذلك ليتمكن أولا من دحض الباطل وإبطاله كخطوة مرحلية، ثم المضي قدما نحو إحقاق الحق وترسيخه وهو الهدف الأسمى لعملية التجديد.[2]

1- د _ باباواعمرخضير, علم الكلام الإسلامى ...رؤية تجديدية المرجع السابق ، صفحة 265

2- المرجع نفسه, صفحة 265

ممثلي علم الكلام الجديد:

يعد ممثلو علم الكلام الجديد مفكرين وفلاسفة إسلاميين سعوا إلى إعادة تفسير العقيدة الإسلامية وفقا لمناهج عقلانية وتأويلية حديثة، مع التركيز على قضايا ومن بين هؤلاء المفكرين نذكر:

1_ محمد إقبال *: سعى محمد إقبال في كتابه "تجديد الفكر الديني "إلى إعادة بناء الفلسفة الدينية الإسلامية بأسلوب فلسفي، مستفيدا من التراث الإسلامي والتطورات المعرفية الحديثة استند في دعوته إلى التجديد على تأمله في تفاوت الشرق والغرب وتأثره بعاملين أساسين:

السيطرة الإمبريالية التي أخضعت الشعوب الإسلامية، والتناقض بين واقع المسلمين وحقيقة دينهم

مما ولد لديه إحساسا بالألم والتوتر، ودفعه للبحث عن نهضة فكرية تعيد للإسلام حيويته.[1]

" أراد محمد إقبال من التجديد إيجاد أساس عقلي لمبادئ الإسلام الجوهرية ,لأنه يعتقد أن الدين لا يكاد يستغنى عن السعي إلى التوفيق بين المتضادات التي نجدها في عالم التجربة، كما يعتقد أن الدين لايكاد يستغنى عن تعليل يسوغ أحوال البيئة التي تجد الإنسانية نفسها محاطة بها ..."[2]

سعى محمد إقبال إلى جعل الدين تجربة روحية عملية لا مجرد معارف نظرية ,معتبرا أن الخبرة الدينية أساس الكشف عن الحقيقة الأزلية وشدد على ضرورة التوازن بين الحدس

[1]- مرجع سابق ,davudsoylu ,أراء علماء قارة هندية , في تجديد علم الكلام ,محمد اقبال ووحيد الدين خان انموذجا صفحة326

[2]davudsoylu ,أراء علماء قارة هندية , في تجديد علم الكلام ,محمد اقبال ووحيد الدين خان انموذجا, المرجع السابق، صفحة 327

والعقل في حياة المسلم , مؤكدا أن الهدف الأساسي للقرآن هو إيقاظ وعى الإنسان بعلاقته مع الكون والخالق .[1]

2_ حسن حنفي *: يعتقد حسن حنفي أنه " لا يوجد شيء اسمه علم كلام معايري نسقي , نقيس عليه الاجتهادات الأخرى في علم الكلام "[2]

لذلك يرى أن التجديد في علم الكلام الإسلامي كان يحدث باستمرار كلما قدم أحد المتكلمين أو إحدى الفرق أفكارا جديدة تخالف التيارات السائدة في ذلك العصر.

بينما كان ينظر إلى علم الكلام القديم على أنه وسيلة للدفاع عن العقيدة بالحجج العقلية فإن حسن حنفي يتجاوز هذا المفهوم حيث لا يقتصر دوره على العقيدة فقط، بل يربطه بالقضايا الاقتصادية، السياسية

والاجتماعية التي تواجه المسلمين ليصبح أداة للدفاع عن قضاياهم العامة مثل التخلف، التبعية والاستبداد فيحين ركز حسن حنفي في تحديد أهداف ورهانات علم الكلام الجديد على الأبعاد الاجتماعية، السياسية والاقتصادية اتجه عبد الجبار الرفاعي إلى التركيز أكثر على الجوانب الروحية، الأخلاقية والجمالية، معتبرا أن المهمة الأساسية لعلم الكلام هي إبراز البعد الجمالي والأخلاقي في النصوص الدينية.[3]

---

[1]المرجع نفسه , صفحة 327

*محمد إقبال : ولد محمد في مدينة سياكلورت بمقاطعةالبنجاب , ونشأ في أسرة حرصت على تربيته تربية علمية, إلتحق بالمدرسة الإنجلزية في سياكلورت حيث أتم دراسته الثانوية , ثم واصل دراسته في كلية تابعة لها , فتلقي فيها أصول اللغتين الفارسية والعربية لاحقا, سافر إلى ألمانيا ليتوج مسيرته الأكاديمية بالحصول على شهادة الدوكتوراءفيالفسلفة من جامعة ميونخ عام 1908, وكانت أطروحته بعنوان " تطور الميتافيزيقا في فارس " عاد إلى وطنه في العام نفسه ,وإنخرط في الأنشطة العلميةحتى وفاته عام 1938. انظر:davudsoylu ,أراء علماء قارة هندية , في تجديد علم الكلام ,محمد اقبال ووحيد الدين خان انموذجا, المرجع السابق,ص325.

[2] محمد الشبه باحث غربي ,غاية المرام في تجديد علم الكلام , صفحة 30

[3] نفس المرجع ,ص ص 31,32

*حسن حنفي هو مفكر مصري ولد عام 1935وضع مشروعا فكريا ضخما بعنوان "التراث والتجديد يهدف من خلاله إلى النهوض بالأمة العربية الإسلامية وإنتشالها من واقع التخلف والإنحطاط , ودفعها نحو التقدم والإزدهار ,وقد سعي في إطار مشروعه إلى إعادة بناء العلوم الدينية , سواء النقلية منها أو العقلية , عبر إستخراج الجوانب الصالحة منها وتوظيفها

3_عبد المجيد النجار* : يرى عبد المجيد النجار أن التجديد في علم الكلام يتمثل في تحديث منهج عرض العقيدة الإسلامية , وذلك من خلال استخدام أساليب قادرة على إقناع العقل المعاصر ومجابهة الأساليب التي يستخدمها الخصوم في الطعن , ويعني هذا تجديدا في طريقة عرض العقيدة , وأسلوب الاستدلال والرد على الشبهات بما يتماشى مع متطلبات العصر ، ويتم هذا التجديد في نظر النجار ، بالتخلي عن كثير من الاستدلالات التقليدية التي فقدت أثرها في الذهنية المعاصرة المتأثرة بالمنهج العلمي ، مع الاستفادة من نتائج العلوم الكونية وحقائقها لتكون منطلقا لاستدلالات جديدة أكثر تأثيرا في الفهم والإقناع .

1_ عبد الجبار الرفاعي: ينطلق عبد الجبار الرفاعي في مشروعه الكلامي الجديد من رؤية تؤكد أن هناك أسئلةميتافيزيقية كبرى تظل تؤرق العقل البشرى. وتفرض نفسها عليه باستمرار. وقد سعى العديد من الفلاسفة وعلماء اللاهوت إلى تقديم إجابات لهذه التساؤلات الأنطولوجية والميتافيزيقية.

بناء على ذلك يأتي علم الكلام الجديد ليكمل هذا المسار، حيث نشأت الدعوة إلى الانتقال من علم الكلام القديم إلى الحديث استجابة لقلق الإنسان الوجودي، وتساؤلاته الملحة وإحساسه بشح المعنى في حياته، في ظل عالم يتسارع إيقاعه وتتراكم فيه المعرفة وتتسع آفاقها بلا حدود، بينما تستمر التكنولوجيا والعلم في التطور دون توقف.

يعد علم الكلام سجلا لتطور العقل الإسلامي، إذ يسعى إلى تأويل النص الديني والإجابة عن أسئلة العصر، ولهذا فهو ليس علما معزولا عن التاريخ، بل يتفاعل مع السياقات والرهانات التي يسعى إلى معالجتها ضمن إطار زمني وثقافي محدد فهو بطبيعته

في تحسين الواقع وتحقيق النهضة المرجوة . انظر: التراث والتجديد عند حسن حنفي ,مخطار ديدوش محمد.طالب دكتوراه فلسفة سنة3 ,صفحة 1

*عبد المجيد النجارباحث تونسي متفرع , متخصص في أصول الدين , تخرج من الكلية الزيتونية للشريعة ومن جامعة الأزهر درس في عدة جامعات عربية , وله مؤلفات وبحوث عديدة , من أبرزها العقل والسلوك في البنية الإسلامية , فقه التدين فهما وتنزيلا , ودور حريةالرأي في تحقيق الوحدة الفكرية بين المسلمين إلى جانب كتب أخرى كثيرة .انضر:مجلة جامعة الامير عبد القادر للعلوم الإسلامية _ قسنطينة الجزائر _, منهج التجديد في علم الكلام عند عبد المجيد النجار , د الشيخ خليفي , المجلد32 العدد2 تاريخ النشر 13_12_2018. صفحة 390

مرتبط بالتاريخية الثقافية والاجتماعية , ويعكس تفاعل الفكر الإسلامي مع المسار العام للتاريخ الإنساني.[1]

من هذا المنطلق يصبح من الضروري أن نأخذ في الاعتبار مفهوم التجديد وأبرز القضايا التي تناولها المفكر عبد الجبار الرفاعي في إطار هذا المفهوم إذ أن الرفاعي يعد من الشخصيات الفكرية البارزة التي عملت على إعادة صياغة علم الكلام بما يتناسب مع التحديات المعرفية والوجودية التي يواجهها العالم الإسلامي في العصر الحديث لذا فإننا بحاجة إلى الغوص في فكرته عن التجديد وفهم أهم القضايا التي طرحها في هذا السياق خاصة تلك التي تتعلق بإعادة قراءة العقيدة الإسلامية وفقا لمعايير عقلية ومنهجية جديدة تواكب المتغيرات المعاصرة .

[1]محمد الشبه باحث غربي ,غاية المرام في تجديد علم الكلام ,مرجع سابق, صفحة 32 .

الفصل الثالث:

مشروع عبد الجبار الرفاعي في تجديد علم الكلام : رؤية تحليلية ونقدية

الفصل الثالث : مشروع عبد الجبار الرفاعي في تجديد علم الكلام : رؤية تحليلية ونقدية

تمهيد :

يأتي هذا الفصل الأخير من الدراسة تتويجا لما سبق عرضه في الفصلين الأول والثاني , حيث تم فيهما تمهيد الأرضية المفاهيمية والمنهجية لفهم مشروع عبد الجبار الرفاعي في تجديد علم الكلام , من خلال استعراض الإطار النظري والمرجعي لفكره , وتسليط الضوء على أبرز ملامح التجديد الكلامي في أطروحاته .

أما في هذا الفصل , الموسوم ب " مشروع عبد الجبار الرفاعي في تجديد علم الكلام رؤية تحليلية ونقدية " , فقد سعينا إلى تقديم قراءة شاملة لهذا المشروع , عبر مقاربة تحليلية تناولت معالمه , ومقاربة نقدية تفاعلت مع أسئلته ومرتكزاته .

وقد توزع هذا الفصل على أربعة مباحث رئيسية :

تناولنا في المبحث الأول الإطار النظري والمنهجي لتجديد علم الكلام عند الرفاعي , من حيث مطلقاته الفكرية , ورؤيته المنهجية .

أما المبحث الثاني ,فتناولنا ملامح التجديد في علم الكلام المعاصر لديه , عبر المفاهيم والمواقف التي تشكل بنية مشروعه التجديدي .

في حين ركز المبحث الثالث على أبرز قضايا التجديد الكلامي التيعالجها .

وأختتم الفصل بالمبحث الرابع خصص لدراسة نقدية وتقويمية لفكرة تجديد علم الكلام عنده ، من حيث مكامن قوته وحدود تأثيره في الحقل المعرفي والديني المعاصر .

بهذا الفصل نكون قد استكملنا ملامح مشروع الرفاعي , محاولة لفهمه في شموليته , ومساءلته وفق منطق النقد العلمي الهادئ والبناء

المبحث الأول :التجديد في علم الكلام عند عبد الجبار الرفاعي :الإطار النظري والمنهجي.

مفهوم التجديد وأركانه عند عبد الجبار الرفاعي :

يُعد مصطلح" التجديد "من المفاهيم التي شاعت في الفكر العربي والإسلامي المعاصر، وكذلك في الفكر الحديث والغربي، على مدى القرنين الماضيين، وقد اكتسب هذا المصطلح أهمية خاصة مع بروز مفاهيم أخرى مثل الإصلاح، والنهضة، والثورة، والتغيير، والإحياء، وغيرها .وتتفاوت درجة حضور هذه المفاهيم أو تراجعها تبعًا للظروف الاجتماعية والتيارات الفكرية السائدة في المجتمعات.

أما التجديد الذي تصوره عبد الجبار الرفاعي، فلا يقوم على إحياء التراث بصورته الأصلية، ولا يقتصر على إصلاح معارف الدين وترميمها وفق المفاهيم المذكورة سابقًا، حيث يقول في كتابه" مقدمة في علم الكلام الجديد" :"أستعمل في كتاباتي مصطلح التجديد "وليس الإحياء أو الإصلاح، لأن معنى" التجديد "لا يلتبس بغيره"[1]

يرى عبد الجبار الرفاعي أن التجديد لا يعني مجرد استئناف التراث بمعارفه وأدواته ومناهجه، بل يتطلب مراجعة عميقة لبنيته وتنقيحه، والتمييز بين ما هو حيّ وما هو غير ذلك، وذلك من خلال إعادة فهم الدين وتحديد دوره في الحياة، وإعادة بناء مناهج تفسير

[1]- عبد الجبار الرفاعي مقدمة في علم الكلام , , الناشرة مؤسسة هنداوي , المشهرة برقم 10585970 بتاريخ 26_1_2017, صفحة 70.

القرآن والنصوص، بالإضافة إلى تأسيس علوم الدين ومعارفه استنادًا إلى الفلسفة وعلوم الإنسان والمجتمع والمعارف الحديثة..[1]

ينطلق التجديد من الوعي بأن متطلبات الحياة في عصرنا الراهن وتحديات الواقع لا يمكن مواجهتها بالاعتماد على ما قاله المتكلمون والمفسرون والفقهاء والمتصوفة في العصور الماضية، فكل حقبة زمنية تمتلك فهمها الخاص للنصوص المقدسة .وكثير من التفسيرات التراثية لم تعد كافية لتلبية احتياجات المسلم اليوم على المستويات الفكرية والروحية والعاطفية، كما أنها تعجز عن تحقيق انسجام بنيته مع تطلعات واقعه، أو صياغة رؤية روحية وأخلاقية وجمالية للعالم تتماشى مع التحولات المتسارعة في الحياة، وتلبي حاجات العقل والقلب والروح في العصر الحديث..[2]

يعرف عبد الجبار الرفاعي التجديد في علم الكلام بشكل عام بأنه" محاولة الاجتهاد في علم الكلام اليوم، كما اجتهد مؤسسو الفرق الكلامية في الماضي، فدونوا تصوراتهم ومفاهيمهم لأصول الدين المشتقة من عقلانية وعلوم ومعارف عصرهم .وبذلك يجتهد علماء الإسلام في عصرنا لإنتاج تصوراتهم في التوحيد والمعتقدات."[3]

يرى عبد الجبار الرفاعي أن التجديد في علم الكلام يجب أن يشمل تحديث هندسته المعرفية، بحيث يمتد ليطال المسائل، والهدف، والمناهج، والموضوع، واللغة، والمباني . ويعتبر الرفاعي أن هذا التصور للتجديد يعد من أفضل الرؤى التي تناولت مفهوم التجديد في علم الكلام.

---

[1]- د .مريم خليفة المبروك، "علم الكلام من مأزق التقليد إلى رهان التجديد :عبد الجبار الرفاعي نموذجاً"، مجلة جامعة بني وليد للعلوم الإنسانية والتطبيقية، مجلد 9، العدد 2، 2024، قسم الفلسفة، كلية الآداب، جامعة سرت، ليبيا.تاريخ الاستلام : 20/4/2024، تاريخ القبول2/5/2024 :، تاريخ النشر1/6/2024 :، صفحة .5

[2]- عبد الجبار الرفاعي ,مقدمة في علم الكلام ,المصدرالسابق,صفحة71

[3]- د .زهير بن كتفي، "علم الكلام من مسار التقليد إلى استئناف التجديد :العلامة شبلي نعماني مثالا"، مجلة المعيار، مجلد 25، عدد 60، 2021، معهد العلوم الإسلامية، جامعة الشهيد حمة لخضر _ الوادي.تاريخ الوصول10/2/2021 :، تاريخ القبول26/3/2021 :، النشر على الخط30/10/2021 :، صفحة .188

يدعو الرفاعي إلى إعادة تشكيل نظرية المعرفة في الإسلام، معتبراً أن هذه النظرية تتمثل في علم الكلام، لذا سعى إلى المساهمة في تطوير علم الكلام الجديد وفقًا لاجتهاده.

بناءً على ذلك، يرى عبد الجبار الرفاعي أن التجديد يقوم على عدة أركان، منها:

الركن الأول :بوصلة التجديد تعيد تعريف الإنسان والدين، محددة دوره في حياة الفرد والمجتمع، وكاشفة عن إسهاماته الروحية والأخلاقية والجمالية، وما يمنحه من رحمة وسكينة وطمأنينة.[1]

الركن الثاني :من الضروري دراسة علوم الدين في التراث، وفهمها، ونقدها، مع استكشاف أبعادها ومجالاتها المختلفة.

الركن الثالث :استيعاب العلوم الحديثة نقديًا، وتوظيف المناسب منها لتحليل النص الديني.

الركن الرابع :تجديد فهم الدين يستلزم مقارنة الأديان، ودراسة نشأة مؤسساتها، وعلاقتها بالسلطة والتراث.

الركن الخامس :يتطلب تجديد فهم الدين دراسة تاريخية لتنوع تمثيلاته وعلاقته بالعلوم والمعارف التراثية.

الركن السادس :يتحقق تجديد فهم الدين بتجديد مناهج الاجتهاد عبر إعادة بناء أدوات إنتاج المعرفة الدينية، ومراجعة نصوصها من منظور معاصر، بما يواكب تطورات الحياة المتسارعة.

الركن السابع :لا يتحقق التجديد إلا بالتحرر من التفسيرات الحرفية، والانفتاح على مناهج التأويل الحديثة، ومعطيات الفلسفة وعلوم الإنسان والمجتمع..[2]

[1]- عبد الجبار الرفاعي , مقدمة في علم الكلام , المصدر السابق، ص72ً

الركن الثامن :تحليل المتخيل الديني وتشكله ضروري للتجديد، إذ إن من يسيطر عليه يمتلك السلطة والتأثير على حاضر المجتمعات ومستقبلها.

الركن التاسع :التجديد لا ينطلق من التراث ليعود إليه فحسب، ولا يصور التراث كما لو أنه يلبي متطلبات الواقع، فقرنان من الإخفاق يثبتان تهافت هذا النضج.[1]

دوافع التجديد [بواعث] عند عبد الجبار الرفاعى :

تمكن عبد الجبار الرفاعي، بحاسته النقدية الدقيقة، من الكشف عن مواطن قصور علم الكلام القديم، سعيًا لإيجاد مبررات لتجاوزه، بهدف إعادة بناء علم الكلام الجديد ضمن سياق أسئلة العصر ومعارفه حيثيصرح قائلا:"طلب البنية الأولى تمون التفكير الكلامي وتوجهه في إطار أنساقها المحددة، فتكررت في المؤلفات الكلامية منذ نضوج علم الكلام أكثر :أنماط الاستدلال والموضوعات، والأفكار والمقولات ذاتها".[2]

يرى عبد الجبار الرفاعي أن التفكير الكلامي يتشكل وينمو ضمن إطار" البنية الأولى"، أي الأسس والمفاهيم الأولية التي تغذيه وتوجهه داخل نسق فكري محدد .هذه البنية تؤثر بعمق في طريقة التفكير والاستدلال في علم الكلام، مما يؤدي إلى إعادة إنتاج نفس الأنماط الفكرية والاستدلالية عبر العصور .ولذلك، ومنذ نضوج علم الكلام، ظلت نفس الموضوعات والمقولات والأفكار تتكرر في المؤلفات الكلامية دون إحداث تغيير جوهري، لأن التفكير الكلامي ظل محكومًا بتلك البنية الأولى التي تشكل المنطقة الداخلية له.

ومن أبرز جوانب الضعف والقصور في علم الكلام القديم :تقليده للمنطق الأرسطي، مما جعله يغرق في الجدل العقيم والتجريد الذهني البعيد عن الواقع .فقد غابت القضايا

---

[2]- عبد الجبار الرفاعي , مقدمة في علم الكلام ,المصدرالسابق صفحة 73

[1]- د مريم خليفة المبروك ,علم الكلام من مأزق التقليد إلى رهان التجديد , عبد الجبار الرفاعي نموذجا , مرجع سابق,صفحة6

[2]- المرجع نفسه, صفحة 12

الإنسانية، وساد الانفصام بين النظر والعمل، وأدى ذلك إلى تراجع الاجتهاد، وشيوع التقليد، وتعطيل العقل الكلامي، مما أفرغه من مضمونه الاجتماعي والأخلاقي، وأسهم في ترسيخ التطرف والخوف وتعزيز العبودية الفكرية .كما اعتمد على علوم طبيعية كلاسيكية دون نقد، واستثمر تناقلها جيلاً بعد جيل.

ورغم هذه العيوب، فقد أسهم علم الكلام القديم في التصدي للشبهات حول الإسلام وإثراء الفكر العقائدي، مع اهتمام غير مستقل بالإنسان وقيمه..[1]

"إن إحياء النزعة الإنسانية في الدين يسرّع من تقويض ثقافة الاستبداد، ويفضح المشروعيات الزائفة التي يسوّقها طغيانه.وهذا يعني أنه متى غابت الحرية، ذبلت النزعة الإنسانية، ومتى انبعثت الحرية وسادت قيم التعددية وحق الاختلاف، تزدهر النزعة الإنسانية، وتسود قيمها وأخلاقياتها ومفاهيمها المدنية في المجتمع".[2]

يرى عبد الجبار الرفاعي أن إحياء النزعة الإنسانية في الدين يلعب دورًا أساسيًا في مواجهة الاستبداد، حيث يساعد على كشف زيف الشرعيات التي يستغلها الطغاة لتبرير تسلطهم.

فكلما غابت الحرية تراجعت النزعة الإنسانية وضعفت قيمها في المجتمع، أما عندما تنتعش الحرية وتترسخ قيم التعددية واحترام الاختلاف، فإن النزعة الإنسانية تزدهر، مما يؤدي إلى تعزيز العدالة والكرامة الإنسانية.

بمعنى آخر، العلاقة بين النزعة الإنسانية والحرية علاقة طردية، فغياب الحرية يؤدي إلى اندثار القيم الإنسانية، بينما انتشارها يعزز القيم المدنية ويحد من الاستبداد.

---

[1]-,د مريم خليفة المبروك ,علم الكلام من مأزق التقليد إلى رهان التجديد,عبدالجبار الرفاعي نموذجا, مرجع سابق صفحة 12,13

[2] د عبد الجبار الرفاعي ,الدين والنزعة الإنسانية , طبعة 3 , معدلة ومزيدة ومنقحة:2018, دار التنوير للطباعة والنشر ,لبنان , صفحة 198

وبعد أن تناولنا في المبحث الأول مفهوم التجديد في علم الكلام، وأركانه، والدواعي التي استدعت ظهوره، ننتقل في المبحث الثاني إلى تطبيق هذا المفهوم في الفكر الكلامي المعاصر من خلال دراسة نموذج بارز يتمثل في تجربة عبد الجبار الرفاعي .وسنقف عند أبرز ملامح هذا التجديد كما تجلت في موضوعات علم الكلام ومسائله، وكذلك في منهجه وغاياته ولغته ومبانيه.

المبحث الثاني :ملامح التجديد في علم الكلام المعاصر لدى عبد الجبار الرفاعي

تحديد المباني المعرفية لعلم الكلام ضرورة عقلية تفرضها بديهية العقل، لضمان تحرره من مقولات الماضي، وهذا يستلزم إحداث تحولات جوهرية في البنية المعرفية لعلم الكلام الجديد، والتي تشمل:

1-التجديد في الموضوعات والمسائل:

اختلفت الآراء حول تجديد علم الكلام، فالبعض يرى أن مواضيعه قد تغيرت كليًا، بينما يرى آخرون أنها توسعت لتشمل قضايا جديدة مثل القيم والحقوق والإنسانية دون إلغاء المسائل القديمة.

التجديد في المسائل يعني توالد مسائل جديدة نتيجة للأسئلة المستحدثة، مما ينجم عنه نمو وتطور علم الكلام نفسه."[1]

التجديد في المسائل عند عبد الجبار الرفاعي يعني ظهور قضايا جديدة نتيجة لأسئلة مستحدثة يفرضها تطور المعرفة والواقع، مما يؤدي إلى نمو وتطور علم الكلام نفسه.

أما المحور الثاني فهو الإنسان، إذ لا يمكن فهم الدين دون إدراك حاجته إلى المعنى . ويرى الرفاعي أن علم الكلام يجب أن يتناول منزلة الإنسان وحقوقه وكرامته وحرياته، إضافة

[1]- عبد الجبار الرفاعي ,مقدمة في علم الكلام ,المصدر السابق ،صفحة 68

إلى رؤيته للعالم، خلافًا لعلم الكلام القديم الذي ركز على صفات الله في سياق منفصل عن الإنسان، مما جعله يغفل طبيعة حياته ومعنى وجوده..[1]

يقول الرفاعي :«أعني بالظمأ الأنطولوجي الظمأ للمقدس، أو الحنين إلى الوجود .إنه ظمأ الكينونة البشرية بوصف وجود الإنسان وجودًا محتاجًا إلى ما يرتويه، وهو كائن متعطش على الدوام لما يروي ظمأه».[2]

يؤكد عبد الجبار الرفاعي هنا أن فهم الإنسان هو المدخل الأساسي لفهم الدين، إذ أن حاجته إليه ضرورة لا غنى عنها.

ويرى الرفاعي أن علم الكلام القديم يصنف ضمن إطار الحكمة النظرية، بينما تنتمي الأخلاق إلى نطاق الحكمة العملية .ورغم أن المعتزلة والشيعة يؤمنون بالحسن والقبح الذاتيّين للأفعال، ويبحثون في طبيعة الإلزام بالتكييف، إلا أن مباحثهم الكلامية لم تتناول ماهية القيم الأخلاقية، ووظائفها، ومصادر الإلزام الأخلاقي، أو العلاقة بين الوحي والأخلاق .كما أنهم لم يدرسوا الفضيلة والسعادة ومنابع إلهامها في حياة الإنسان، رغم تبنيهم مبدأ الحسن والقبح الذاتيّين.[3]

2-التجديد في المنهج :

يرى الرفاعي أن علم الكلام الجديد يعتمد على العقل قبل النقل، حيث تُعرض القضايا والمقولات على أحكام العقل وأدلته .ويؤكد أن مفهوم العقل في الكلام التقليدي يختلف عن العقلانية الحديثة، إذ يتشكل وفق معطيات كل عصر .لذلك، يدعو إلى تجاوز المنهج

---

[1]- د مريم خليفة المبروك ,علم الكلام من مأزق التقليد إلى رهان التجديد , عبد الجبار الرفاعي نموذجا ,المرجع السابق صفحة 16_17.

[2]- د عبد الجبار الرفاعي ,الدين والظمأ الأنطولوجي , ,طبعة الأولى 2016, دار التنوير للطباعة والنشر , مركز دراسات فلسفة الدين _ بغداد _ صفحة 5 .

[3]د عبد الجبار الرفاعي , علم الكلام الجديد مدخل لدراسة اللاهوت الجديد وجدل العلم والدين , , طبعة 1 ,2016 , دار التنوير للطباعة والتنوير مركز دراسات فلسفة الدين _ بغداد _ صفحة 38 .

الأحادي والانفتاح على مناهج متعددة، مثل التأويلية والسيمائية والتجريبية والبرهانية، بالإضافة إلى دراسة النصوص والحقائق التاريخية، مما يسهم في إنتاج معرفة دينية متجددة تواكب تطورات العصر..[1]

3-التجديد في الغاية :

يعتقد عبد الجبار الرفاعي أن جوهر التجديد يكمن في الغاية، حيث يعني تجاوز الغايات المعروفة لعلم الكلام، والتي تقتصر على الدفاع عن المعتقدات، نحو تحليل حقيقة الإيمان وفهم مجمل التجربة الدينية."[2]

أي أن التجديد في علم الكلام عند عبد الجبار الرفاعي لا ينبغي أن يقتصر على الوظيفة التقليدية المتمثلة في الدفاع عن المعتقدات والرد على الشبهات، بل يجب أن يتجاوز ذلك إلى البحث في جوهر الإيمان نفسه وتحليل أبعاده العميقة .وهذا يعني أن الغاية من هذا العلم لم تعد فقط حماية العقيدة من التحديات الفكرية، بل صارت تتجه نحو فهم طبيعة الإيمان، وكيفية تشكله، وأثره في حياة الإنسان .كما يدعو الرفاعي إلى دراسة التجربة الدينية كظاهرة روحية وإنسانية، بدلاً من الاقتصار على الجدل العقلي والتبرير النظري للعقائد.

فإذا كانت الغاية الأساسية لعلم الكلام كذلك، فإن للرفاعي أهدافًا أخرى، منها إبراز البعد الإنساني في الدين، وتعزيز كرامة الإنسان وحقوقه، وإحياء البعد الروحي والأخلاقي والجمالي، إضافة إلى ترسيخ التفكير الحر والتخلص من التحيزات الطائفية والمذهبية .وهي غايات تناولها في كتابه" مقدمة في علم الكلام "وسائر مؤلفاته، مما يُثرِي فلسفة الدين وعلم الكلام.

---

[1] د ـ مريم خليفة المبروك , , علم الكلام من مأزق التقليد إلى رهان التجديد , عبد الجبار الرفاعي نموذجا, مرجع سابق صفحة 17 .

[2] المرجع نفسه ,صفحة 18

4-التجديد في اللغة :

" أما التجديد في اللغة ,فيتحقق بالانتقال من لغة المتكلمين القديمة ،ومعمياتها أو ألغازها ,إلى لغة حديثة تستسقى من المكاسب الجديدة للمعارف والعلوم والفنون والآداب , وتعتبر عن الفهم الجديد للطبيعة البشرية , وحقوق الإنسان وحرياته"[1]

تتناول هذه العبارة للرفاعي موضوع التجديد في اللغة بوصفه عملية ضرورية لمواكبة التطور في مختلف مجالات الحياة .حيث يوضح أن هذا التجديد لا يتحقق بالتمسك بلغة القدماء التي تتسم بالتعقيد والألغاز، والتي قد لا تكون مفهومة أو ملائمة للعصر الحديث .بل يتمثل التجديد في الانتقال إلى لغة حديثة تتأثر بالتطورات المستجدة في المعارف والعلوم والفنون والآداب .وبمعنى آخر، فإن التجديد اللغوي المطلوب هو ذلك الذي يعكس الفهم المعاصر للطبيعة البشرية، ويراعي القيم الحديثة مثل حقوق الإنسان والحريات، مما يجعل اللغة أداة فعالة للتواصل والتعبير عن الواقع الراهن، بدلاً من أن تكون عائقًا بسبب تعقيداتها القديمة.

5-التجديد في المباني :

بالتوازي مع تجديد اللغة، لا بد من تجديد المعاني أيضاً، إذ كان المتكلمون في السابق يعتمدون على منطق أرسطو والفلسفة اليونانية كأساس للمباحث الكلامية .لكن مع بروز الفلسفة الغربية الحديثة، بدأت هذه الأسس تتزعزع تحت تأثير النقد الفلسفي الذي شرعه بيكون وديكارت، وبلغ ذروته مع كانط، ثم تطور مستفيداً من فلسفة العلم والفيزياء النظرية . كل هذه التطورات تستدعي إعادة النظر في مرتكزات علم الكلام، إذ إن التجديد في موضوعاته ومناهجه ولغته يقتضي بالضرورة تجديداً في مبانيه المعرفية..[2]

[1], د مريم خليفة المبروك ,علم الكلام الجديد مدخل لدراسة اللاهوت الجديد وجدل العلم والدين , مرجع سابق ،صفحة 43 .

[2],عبد الجبار الرفاعي , مقدمة في علم الكلام , المصدر السابق ، صفحة69

بعد أن استعرضنا في المبحث الثاني ملامح التجديد في علم الكلام الجديد كما يراها عبد الجبار الرفاعي , ننتقل في المبحث الثالث إلى تناول أهم القضايا التي ركز عليها في إطار هذا التجديد , ومن حيث تناولها وإعادة طرحها بروح معاصرة تراعي متغيرات الواقع وحاجات الإنسان اليوم .

المبحث الثالث : قضايا تجديد علم الكلام عند عبد الجبار الرفاعي

1-الوحي والنبوة:

حدد عبد الجبار الرفاعي مجموعة من الشروط والضوابط والآليات التي تحدد نطاق علم الكلام الجديد وهوية المتكلم الجديد، بحيث لا يمكن اعتبار أي خطاب كلامًا جديدًا أو قائله متكلمًا جديدًا إلا عند توفر هذه الشروط .في كتابه" مقدمة علم الكلام الجديد"، يعرض الرفاعي مفهوم علم الكلام الجديد، حيث يؤكد قائلاً:

المعيار العلمي الذي يمكن اعتماده **كمقياس** للتمييز بين الكلام الجديد والكلام القديم، ولتصنيف أحد المتكلمين كمتكلم جديد، هو الاجتهاد الجديد الذي يقدمه المتكلم في بناء مفهوم للوحي لا يعيد إنتاج المفاهيم التقليدية، وتفسير للنبوة بوصفها ظاهرة ميتافيزيقية، وتحليل نوع الصلة الوجودية التي يعيشها مع الله وبالتالي، يمكن تلخيص القول بأن علم الكلام الجديد هو الفهم الجديد للوحي، خارج الإطار الميكانيكي الذي كان سائداً في علم الكلام القديم.[1]

2-مفهوم الوحي :

يتبنّى عبد الجبار الرفاعي فهمًا خاصًا للوحي، يُراعي فيه الحفاظ على طابعه الغيبي دون فصل بين الوحي والعلاقة الفريدة التي تجمع بين الإلهي والإنساني .يعرف الرفاعي الوحي

[1]- عبد الجبار الرفاعي , مقدمة في علم الكلام ، المصدر السابق ، ص ص 115,116

بأنه قبس من نور تجلّى في ذوات أصيلة، تميّزت بعمقها الروحي، وأشرق على أرواح صافية كالمرايا المصقولة، فانعكس نوره عليهم وانتشر بينهم.

ويصف الرفاعي الوحي بأنه حالة وجودية مزدوجة تحمل بُعدًا إلهيًا وبشريًا في آن واحد، تتجلّى فيها الذات الإلهية للإنسان حين يكون مهيأ لتلقّيها، وهي حالة فريدة لا يبلغها إلا النبي، إذ يصبح كمرآة صافية ينعكس فيها الإلهي بأبهى صورة .هذه المرتبة الوجودية الخاصة بالنبي وحده ترفع روحه إلى مستوى من النقاء والنور لا يدركه غيره، حيث تتحوّل روحه إلى نور خالص لا يشوبه أي ظل من الظلام.

إن تعريف عبد الجبار الرفاعي للوحي يحمل طابعًا عرفانيًا وروحيًا جليًا، إذ يقترب في صياغته من لغةالمتصوفة أكثر منها إلى لغة المتكلمين التقليدية .فعندما يشير الرفاعي إلى النور والتجلّي والمقام الوجودي الفريد الذي تتفرد به روح النبي عن باقي الأرواح، فإنه يبرز علاقة استثنائية يتجلى فيها الإله للإنسان، بحيث يصبح الإنسان مرآة تعكس الإلهي . هذه اللحظة المقدسة تتجاوز حدود التأويل التاريخي أو التفسير العقلي، إذ يمنع الرفاعي مقاربة الوحي من هذا المنظور.

من هذا المنطلق، ينفي الرفاعي ما يذهب إليه بعض المتكلمين الذين يحاولون تفسير الوحي تفسيرًا تاريخيًا بحتًا، معتبرين إياه مجرد أحلام أو صورًا من نسج الخيال أو حالات نفسية عابرة، حيث يقومون بإنزال البعد السماوي إلى مستوى الواقع المحسوس والبشري .وهو بذلك يعارض هذا التفسير، مؤكدًا على خصوصية الوحي كحالة وجودية روحية متميزة لا يمكن اختزالها في الظواهر النفسية أو التاريخية.[1]

[1]-, د مريم خليفة المبروك ,علم الكلام من مأزق التقليد إلى رهان التجديد , عبد الجبار الرفاعي نموذجا ,المرجع السابق صفحة 13,14 .

بقوله " النبي ليس شاعرا ، ولا كاهنا ، ولا متنبئا ، ولا متأملا يقوده تفكيره بمقام النبوة , النبي نبي وكفى " [1]

يقصد عبد الجبار الرفاعي هنا أن النبي لا يصل إلى مقام النبوة من خلال التفكير الشخصي أو التأمل الذاتي كما هو الحال عند الشعراء أو الكهنة أو المتنبئين .فالنبوة ليست نتيجة اجتهاد عقلي أو تأمل فلسفي، بل هي منزلة إلهية يمنحها الله للنبي، وهذه الحقيقة وحدها تكفي لتعريفه كنبي.

ويؤكد الرفاعي في مواضع متعددة قناعته بأن الوحي يمثل صلة مقدسة بين الغيب والشهادة، حيث يظهر النبي محمد صلى الله عليه وسلم كشاهد على الغيب، يجمع بين الطبيعة البشرية والإلهية في تلقيه للوحي .هذا البعد المزدوج – الإلهي والبشري – هو المحور الذي يحرص الرفاعي على إبرازه باستمرار .إذ إن النبي يتلقى الوحي بلغة بشرية تعكس ثقافته وزمانه، وهو ما تؤكده الآية القرآنية» :قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي.[2]

يرى عبد الجبار الرفاعي أن هناك اتجاهين رئيسيين لتفسير ظاهرة الوحي في علم الكلام، يخرجان عن المسار الكلامي التقليدي الموروث:

الاتجاه الأول يعتبر الوحي ظاهرة تاريخية متفاعلة مع الثقافة واللغة والبيئة التي أنتجتها، حيث يتشكل الوحي ويتأثر بالسياق الثقافي والاجتماعي الذي نشأ فيه .وبذلك يُنظر إليه كمنتج ثقافي ومنتج للثقافة في آن واحد .إلا أن هذا التيار لا يزال موقفه من البعد الميتافيزيقي للوحي غامضًا، إذ يمكن أن نجد في بعض عباراته نفيًا لوجود صلة بين الوحي والغيب، بينما توحي إشارات أخرى بإيمان ضمني بمصدر غيبي .وفي كل الأحوال، يؤكد

[1]- عبد الجبار الرفاعي , مقدمة في علم الكلام ,مصدرالسابق , , صفحة 123
[2]- سورة الكهف , آية 110

هذا الاتجاه أن الوحي هو انعكاس كامل للثقافة واللغة والبيئة الاجتماعية في السياق العربي زمن بعثة النبي.

تتجلى هذه الرؤية في كتابات مفكرين مثل محمد أركون، حسن حنفي، نصر حامد أبو زيد، عبد المجيد الشرفي وغيرهم، الذين يعتمدون على الفلسفة وعلوم الإنسان والمجتمع لفهم ظاهرة الوحي وتحليل تمثيلاتها عبر التاريخ.

الاتجاه الثاني يتبنى فهمًا للوحي بوصفه ظاهرة ميتافيزيقية، إذ يُنظر إليه كحالة وجودية يعيشها النبي نتيجة اتصال روحي بالله، حيث يتغلغل الوحي في روحه، ويفيض على مشاعره، ويعيد تشكيل نظرته للعالم .يهتم هذا التيار بالكشف عن حقيقة الوحي وماهيته في عالم الغيب، ويبحث في نمط العلاقة الوجودية التي تنشأ بين الإنسان والله.

ويختلف مفكرو هذا الاتجاه في تفسير كيفية حدوث الوحي، فبعضهم يرى أنه نتيجة لترقي الروح البشرية وسموها حتى تكشف الحقيقة الإلهية، بينما يرى آخرون أنه تجلٍ لنزول الإلهي على عكس التيار الكلامي التقليدي، يستند هذا الاتجاه في تفسير البعد الميتافيزيقي للوحي إلى تراث العرفاء، ملتقطًا الإشارات والتجليات المستمدة من الإصغاء لصوت الله، ومن التذوق العميق لجمال الأسماء الإلهية، ومن البصيرة التي تضفي على مفهوم الوحي بعده الروحي .ورغم اعتماده على التصوف في تفسير البعد الميتافيزيقي، إلا أنه يستند أيضًا إلى الفلسفة وعلوم الإنسان والمجتمع لتفسير البعد الإنساني والتاريخي للوحي، وكيفية تجليه في الواقع.

وتتجلى هذه الرؤية في أعمال مفكرين مثل أحمد خان، محمد إقبال، فضل الرحمن، محمد مجتهد شيستري، عبد الكريم سروش وغيرهم.[1]

[1] عبد الجبار الرفاعي , مقدمة في علم الكلام ,المصدرالسابق , صفحة 135, 136

2-تراجع دور العقل وشيوع التقليد :

رغم أن علم الكلام والفلسفة هما من المعارف العقلية، إلا أن منهجيهما مختلفان جذريًا .فالفيلسوف يعتمد على البرهان المبني على مقدمات يقينية، ويُعد الحقيقة هي ما يُثبت بالدليل المنطقي القطعي، بينما ينطلق المتكلم من مسلمات إيمانية مسبقة يحاول تأكيدها بمقدمات قد تكون يقينية أو غير ذلك .بناءً على ذلك، يكون القياس في علم الكلام جدليًا يعتمد على الجدال والمناظرة، على عكس القياس البرهاني المنطقي الذي يتبعه الفيلسوف.

وقد أدى اعتماد المنهج الجدلي في علم الكلام إلى تراجع دور العقل في هذا العلم، وظهور تقليد أعمى لأفكار أعلام المتكلمين السابقين داخل الفرق الكلامية المختلفة .ورغم أن التقليد في أصول الدين ليس بالضرورة ظلمًا، إلا أنه تطور ليصبح معيارًا متصلبًا للدفاع عن الدين، حيث أصبح التمسك بآراء الأشاعرة على سبيل المثال يُعتبر معيارًا لا غنى عنه، ويُفهم الخروج عنها على أنه خروج عن الدين ذاته .هذا الوضع دفع العديد من المتكلمين إلى محاربة أي اجتهاد جديد واتهامه بالبدعة، مما حول تقليد المتقدمين إلى عرف جامد أدى إلى جمود العقل وتوقف الإبداع في علم الكلام.

ومن هنا، فإن المنهج الكلامي بطبيعته يميل إلى تقليد المتكلمين السابقين، وهذا ما أشير إليه بوضوح في قول العلامة الطبطبائي:

"سيكون الاعتقاد بأصل المسألة متكئًا على تقليد رجال المذهب، أما البحث والاستدلال الكلامي فلا يعدو في نطاق هذا المنهج أن يكون نظريًا من ضروب اللهو، أو الرياضة الفكرية، أو اللعب...."[1]

إن اعتماد المنهج الجدلي في علم الكلام يُشبه، من منظور عرفي، اتخاذ الإنسان قرارًا مسبقًا ثم البحث عن المشورة بعده، أي أنه يقرر النتائج سلفًا، ثم يُقحم العقل لتبريرها .

[1]- عبد الجبار الرفاعي , مقدمة في علم الكلام ,المصدر السابق,صفحة 47

ويمضي العلّامة الطبطبائي في توضيح كيف أدى هذا المنهج إلى تهميش دور العقل واستبداله بإجماع المذهب، حيث أصبح أتباع كل مذهب يعدّون إجماع جماعتهم حجةً تضاهي الكتاب والسنة، ما أسفر عن إقصاء العقل بوصفه مصدرًا مستقلاً للحكم، حتى في المسائل البديهية الكلية.

وقد ترتب على ذلك أن امتلأت المؤلفات الكلامية بأقوال ومواقف يرفضها العقل السليم، لأن كل مذهب جعل من مسلماته الخاصة معيارًا للضرورة الدينية، مما دفعه إلى اتهام المخالفين بالابتداع، وأدى ذلك إلى انكماش النقد وتعطل الاجتهاد، مما جمّد علم الكلام لقرون طويلة .ولا تزال آثار هذا الجمود تلقي بظلالها على التفكير الديني المعاصر، في ظل استمرار هيمنة سلطة السلف على محاولات التجديد الفكري والديني.

3- إهدار الروح والقلب والعاطفة :

ومن بين النتائج المؤلمة لهذا المنهج، أنه أدى كذلك إلى إهدار البُعد الروحي والعاطفي في الخطاب الديني، على الرغم من أن القرآن الكريم لا يكف عن مخاطبة الوجدان إلى جانب العقل، فهو يُثير مشاعر الإنسان ويوقظ قلبه وروحه بأساليب بلاغية مؤثرة .فتارة يستدعي قصص الأنبياء والأمم السابقة، وتارة يضرب الأمثال، وأخرى يُكثّف الخطاب بالترغيب والوعد بالنجاة، أو بالإنذار من المصير السيئ للظالمين والمكذبين.

وهكذا، يغيب البعد الوجداني في المنهج الكلامي التقليدي، رغم أن الخطاب القرآني يشكل توازنًا بديعًا بين العقل والقلب، البرهان والعاطفة، البيان والمنطق..[1]

يمتاز القرآن الكريم بأسلوبه المتكامل والمتنوع في مخاطبة الكائن الإنساني ، إذ لا يقتصر خطابه علىالعقل والمنطق فحسب، بل يمتد ليشمل العاطفة والمشاعر، بهدف إيقاظ الوجدان وتحريك القلب والروح .إنه خطاب يتغلغل في أعماق النفس، يستنهض مشاعر

[1]-,عبد الجبار الرفاعي , مقدمة في علم الكلام , المصدر السابق، صفحة 56

الإنسان، ويخاطب أشواقه الوجودية، رابطًا بين الدنيا والآخرة بلغة موحية تؤكد وحدة الحياة رغم تعدد أطوارها، وتشير باستمرار إلى كرامة الإنسان وخلافته لله في الأرض .لم يقدّم القرآن نفسه بأسلوبٍ علميّ تجريدي أو برهاني فلسفي، بل اختار خطابًا روحيًا مؤثرًا، يُنظّم حججه في سياق ينبض بالحياة ويخاطب الفطرة، فيوقظ روح المؤمن ويجدّد صلته بالله، ويُفعّل استعداده الوجودي للإيمان.

في المقابل يُلاحظ أن علم الكلام التقليدي غالبًا ما أهمل هذا البُعد الروحي والوجداني، فلم يُعنَ بروح الإنسان وقلبه، ولم يتعامل معه ككائن مُكرَّم وخليفة لله، بل أغرق العقل في جدالات ذهنية ومناقشات صورية، اعتمدت على فرضيات غير مبرهَنة، فغابت عنها رؤية الإنسان بوصفه كائنًا ذا بُعد قدسيّ، يتجلّى فيه الإلهيّ بصورة فريدة لا يشترك فيها سائر المخلوقات.

ومن رحم هذا الفراغ الوجداني والروحي، نشأ التصوف الإسلامي كردّ فعل على طغيان العقلانية الجدلية في علم الكلام .فكانت محاولة المتصوفة إحياءً للروح وتحريرًا للذات من أسر الجدل العقيم، من خلال استلهام البُعد العاطفي والروحي العميق في الخطاب القرآني .غير أن هذا التيار، وعلى الرغم من نبل بداياته، انحرف عند كثير من المنتسبين إليه بمرور الزمن، فغرق في طقوس وممارسات شكلية، وأحيانًا في تصورات مبالغ فيها، أضعفت جوهره الأول الذي كان يبتغي الوصال الروحي والإشراق الوجداني.

تحوّل التصوّففي بعض تجلياته التاريخية، من سبيلٍ لتحرير الذات إلى إطار لإلغاء الفردانية وطمس الشخصية، إذ أفضت العلاقة بين المريد وشيخه في العديد من الطرق الصوفية إلى نوعٍ من الضمنية—سواء في سياق الدين أو الحب—وهي حالة من التماهي التام تُفضي إلى محو الكيان الذاتي وإخماد جذوة الروح، بما يجعل من الإنسان تابعًا سلبيًا فاقدًا لإرادته.

ورغم هذا الانحراف، يظلّ التصوّف المعرفي والعرفان النظري مصدرًا غنيًا يمكن استثماره في استعادة مكانة الإنسان في العالم، من خلال تعميق الفهم لمسارات القلب والعقل . فالإيمان، كما يشير عبد الجبار الرفاعي، ليس فكرة عقلية محضة، بل تجربة وجدانية حيّة، لا تُشعلها أدلة المتكلمين المجردة، بل توقٌ وعشق يملأ القلب ويضيء الروح.

إن القرآن الكريم، في خطابه، يُولي أهمية بالغة لإيقاظ العاطفة وتحفيز الضمير وإرواء الروح، وهو ما يُبرز تمايز منطق القلب عن منطق العقل :فالعقل يفسّر ويبرهن، لكنّه لا يبلغ بالضرورة أعماق الوجدان .وقد اضطلع التصوّف المعرفي بهذه المهمّة، من خلال انفتاحه على قراءة تأويلية حرة تتجاوز الفهم الحرفي للنصوص، وتنأى عن القيود التي رسّخها الشافعي والأشعري ومن تبعهما، حتى غدت تلك الأدوات التفسيرية أشبه بالنص ذاته في قدسيته.

لقد أتاح هذا التصوّف العقلي أفقًا جديدًا لفهم الدين، محررًا المعنى من وثنية الحرف والشكل، ومسلطًا الضوء على المقاصد والمضامين، ومنبهًا العالم الداخلي للإنسان في رحلته نحو المطلق، حيث القلب يسعى إلى الحق، والروح تفتّش عن المقدّس.

المبحث الرابع :دراسة نقدية وتقويمية لفكرة تجديد علم الكلام عند عبد الجبار الرفاعي

1-تقييم نقدي للأسباب الكامنة وراء دعوات التجديد عند عبد الجبار الرفاعي:

"يؤسس الرفاعي فهمه للدين على إعادة تعريف الإنسان وإعادة تعريف الدين، وإعادة قراءة نصوصه في أفق العصر، وإعادة تحديد وظيفته في الحياة، والكشف عما يمكن أنيقدمه

الدين للإنسان من احتياجات روحية وأخلاقية وجمالية، ومايتقربهالإنسان من عواطف ورفق وشفقة ورحمة يمنحها الدين للحياة وما يلهمه للروح من سكينة وللقلب من طمأنينة "[1]

يرى الرفاعي في مشروعه التجديدي أن فهم الدين لا يكتمل إلا بإعادة النظر في الإنسان والدين والنص، إذ ينبغي تعريف الإنسان ككائن شامل في أبعاده العقلية والروحية والعاطفية، لا كمتلق سلبي للتعاليم. كما يدعو إلى إعادة تعريف الدين انطلاقا من مقاصده الجوهرية مثل الرحمة والعدل بدل من التركيز على مظهره الشكلي فقط.

ويؤكد على ضرورة قراءة النصوص الدينية في ضوء متغيرات العصر وتحدياته، بعيدا عن الجمود الحرفي مع إعادة تحديد دور الدين كقوة معنوية فاعلة تعني ببناء الروح وغرس القيم الإنسانية كالرأفة والشفقة والرحمة.

ويكشف الدين، من هذا المنظور عن قدرته على إشباع حاجات الإنسان الروحية والأخلاقية والجمالية، مانحا إياه السكينة والطمأنينة، ومغذيا وجدانه وعلاقته بالقيم النبيلة. وعليه، يصبح الدين في تصور الرفاعي تجربة حية متكاملة تستجيب لمتطلبات الإنسان المعاصر في مختلف أبعاده .

2-نقد التجديد الكلامي على مستوي الموضوع :

من يتأمل المسار الفكري والفلسفي الذى رسمه عبد الجبار الرفاعي يدرك بحق غنى المشروع الذي طرحه , والمتمثل في تجديد علم الكلام , غير أن أي مشروع فكري لا يخلو من مواطن للنقد , مما يقتضي النظر إلى هذا المشروع بعين تحليلية وتقويمية , خاصة في بعض المسائل التي شملها التجديد , ويورد الرفاعي في كتابه علم الكلام الجديد :مدخل لدراسة اللاهوت الجديد وجدل العلم والدين ما نصه " بينما يعني التحول في الموضوع , الخروج من

[1] عبد العاطي طلبة , الدين في رداء الانهمام بالإنسان في فكر عبدالجبارالرفاعي ,.www.hekma.org,تاريخ الدخول 25_4_2025 على الساعة 11:02, تاريخ الخروج [ن ,ت] , الساعة 11:08

الاهتمام بقضايا وجود الباري وصفاته , والنبوة العامة والخاصة , والمعاد , إلى نطاق واسع يستوعب كافة القضايا الموجودة في النصوص المقدسة , سواء منها الناظرة إلى الواقع أو الناظرة إلى الأخلاق والقيم "[1]

والعبارة هنا توضع تحولا في مجال الاهتمام الديني أو الفكري، فبعد أن كان التركيز منصبا على القضايا العقدية الكبرى، مثل وجود الله وصفاته والنبوة بأنواعها، والمعاد [أي البعث والحساب بعد الموت]، أصبح هذا التركيز يشمل نطاقا أوسع من الموضوعات هذا التحول يعني أن الدراسة أو الاهتمام لم يعد مقتصرا على إثبات العقائد أو مناقشة المسائل الإيمانية المجردة، بل امتد ليشمل قراءة النصوص المقدسة قراءة شاملة تأخذ بعين الاعتبار كل ما تتضمنه من مضامين.

فأصبح الباحث أو المهتم يتعامل مع النصوص من حيث ما تقدمه من تصورات عن الواقع، مثل العلاقات الاجتماعيةوالاقتصادية والسياسية، بالإضافة إلى ما تحتويه من توجيهات أخلاقية وقيمية تهدف إلى بناء الإنسان والمجتمع، هذا التوسع في النظر إلى النصوص يجعلها مصدرا لفهم الحياة بكل أبعادها، وليس فقط لفهم العقيدة أو الإيمان .

تقييم ونقد منهج عبد الجبار الرفاعي في تجديد الفكري

يدعو الرفاعي إلى ضرورة تنقية اللغة من مظاهر العنف المتجذرة في مفرداتها والمتراكمة عبر العصور، والتي أصبحت تُستخدم في حياتنا اليومية دون وعي. ويؤكد أن هذا التنقية لا ينبغي أن تقتصر على حذف الألفاظ البذيئة أو المهينة المرتبطة بالتشهير، بل يجب أن تشمل أيضًا المصطلحات التي تكرّس الصراعات الدينية والطائفية وتغذي مشاعر الكراهية والانقسام. كما يشدد على أهمية توسيع هذا الجهد ليشمل المناهج التعليمية في مختلف مراحلها، بما يعزز وعيًا لغويًا جديدًا يقوم على الاحترام المتبادل والتواصل الخالي من العنف. ويرى الرفاعي أن من الضروري التخلي عن لغة الفقهاء

[1],د عبد الجبار الرفاعي , علم الكلام الجديد مدخل لدراسة اللاهوت الجديد وجدل العلم والدين ,المصدرالسابقصفحة 43

واللغويين التقليدية ذات الطابع المعقّد والغامض، لصالح لغة معاصرة تواكب التطورات المعرفية، وتستوعب منجزات العلوم والفنون والآداب، وتعكس رؤية إنسانية حديثة تقوم على احترام الكرامة البشرية وضمان الحقوق والحريات الأساسية[1].

يعتقد الرفاعي أن من المهم تنقية اللغة من العنف، وهذا رأي إنساني مهم، لكنه يواجه بعض المشاكل. فمحاولة تنقية اللغة قد تحد من حرية التعبير أو تصبح نوعًا من الرقابة. كما أن الابتعاد عن لغة العلماء القدامى واستخدام لغة حديثة قد يُضعف علاقتنا بالتراث، رغم أن التجديد أمر ضروري. لذلك، من الأفضل إيجاد توازن بين التطوير والحفاظ على الهوية.

[1] عبد العاطي طلبة , الدين في رداء الانهمام بالإنسان في فكر عبدالجبارالرفاعي ,.المرجع السابق

خاتمة

خاتمة :

من خلال هذا البحث، تبين لنا أن مشروع عبدالجبار الرفاعي في" علم الكلام الجديد "يمثل محاولة فكرية وفلسفية جادة لمعالجة أزمة عميقة يعاني منها الفكر الديني التقليدي .فهذه الأزمة تعود إلى الجذور التي انطلق منها علم الكلام في بيئات تاريخية مشحونة بالصراعات المذهبية، حيث تحول الخطاب الكلامي إلى وسيلة للدفاع والهيمنة، على حساب البعد الإنساني والروحي للدين .فغلب عليه الطابع الجدلي والعقلاني، وتجاهل الأسئلة الوجودية التي تلامس عمق الإنسان.

وفي ظل هذا الواقع، جاء مشروع الرفاعي مستجيبًا للتغيرات الفكرية الكبرى، وللتحديات التي يوجهها المسلم المعاصر في عصر الحداثة، حيث تكثر الأسئلة حول الله والمعنى والمصير، ويهدف هذا المشروع إلى تحرير الدين من الاستغلال السياسي أو الإيديولوجي، مع جعل الإنسان في مركز التجربة الدينية، بدلًا من أن يكون مجرد تابع لتفسيرات عقائدية مغلقة

يرى الرفاعي أن التجديد ليس مجرد تحديث شكلي، بل هو تغيير جذري في المنهج والمعنى والدور، ولهذا أعاد النظر في مفاهيم مهمة مثل النبوة، والوحي، والمعاد، والإيمان، من زاوية تراعي الحاجات النفسية والروحية للإنسان، وتسعى لتقديم صورة أكثر إنسانية ورحمة عن الدين.

ويظهر الفرق واضحًا بين علم الكلام التقليدي والجديد، فبينما ركز الأول على الجدل العقائدي، يسعى الثاني للانفتاح على الفلسفة والعلوم الإنسانية، ويهتم بسؤال المعنى، بهدف صياغة خطاب تأويلي يقترب من قضايا الإنسان الوجودية .وعلى الرغم من بعض الانتقادات التي وُجهت إلى مشروع الرفاعي، مثل ضعف الجانب المنهجي أو عدم تفعيله مؤسسيًا، إلا أن مشروعه يعد خطوة نوعية نحو تجديد الفكر الديني. وفي الختام، يمكن القول إن مشروع عبد الجبار الرفاعي لا يهدف إلى إلغاء علم الكلام التقليدي، بل يقدم اجتهادًا تأويليًا مميزًا يفتح الطريق أمام تجديد حقيقي من داخل

المنظومة الدينية، من خلال إعادة الاعتبار للإنسان وتجربته، وتقديم الدين كمنبع للمعنى والرحمة في عالم يزداد اضطرابًا ويبحث عن اليقين.

قائمة المصادر

و المراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولا :القرآن الكريم.

- **المصادر:**

1-عبد الجبار الرفاعي، تحديث الدرس الكلامي والفلسفي في الحوزة العلمية، مكتبة الفكر الجديد، د,ت .

2-عبد الجبار الرفاعي، علم الكلام الجديد :مدخل لدراسة اللاهوت الجديد وجدل العلم والدين، الطبعة الأولى، 2016، دار التنوير للطباعة والنشر، مركز دراسات فلسفة الدين، بغداد.

3-د عبد الجبار الرفاعي ,الدين والنزعة الإنسانية , طبعة 3 , معدلة ومزيدة ومنقحة:2018, دار التنوير للطباعة والنشر ,لبنان ,

4-د عبد الجبار الرفاعي ,الدين والظمأ الأنطولوجي , ,طبعة الأولى 2016, دار التنوير للطباعة والنشر , مركز دراسات فلسفة الدين _ بغداد _

5-عبد الجبار الرفاعي , مقدمة في علم الكلام .

المراجع:

أولًا: الكتب

1. زرمان، محمد .*مقدمات في علم الكلام* .دار الإعلام للنشر والتوزيع، جامعة باتنة، الجزائر، الطبعة الأولى، 1431 هـ - 2010 م.

2. فضلي، عبد هادي .*خلاصة علم الكلام* .دار المؤرخ العربي، الطبعة الثانية، 1414 هـ - 2010 م.

3. عون، فيصل بدير .*علم الكلام ومدارسه* .دار الثقافة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية.

4. المغربي، علي عبد الفتاح .*الفرق الكلامية الإسلامية: مدخل ودراسة* .سلسلة دراسات كلامية، الطبعة الثانية، 1415 هـ - 1995 م.

5. قرامكي، أحمد .*قضايا إسلامية معاصرة: الهندسة المعرفية للكلام الجديد*، ترجمة: حيدر نجف، حسن العمري، مراجعة: عبد الجبار الرفاعي، ط.1، دار الهادي.

6. حب الله، حيدر .*علم الكلام المعاصر*، ط.1.

7. بدوي، إبراهيم (شيخ، ود) .*علم الكلام الجديد: نشأته وتطوره*، ط.2، دار المحجة البيضاء.

8. الشبه، محمد .*غاية المرام في تجديد علم الكلام* .مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث.

ثانيًا: المعاجم والقواميس

- مجمع *اللغة العربية* ،*المعجمالوسيط* ،إشراف إبراهيم أنيس ومجموعة من العلماء ، الطبعة 2 ، جزء 2 .

ثالثًا: المقالات والمواقع الإلكترونية

1- Davud Soylu، "آراء علماء قارة الهندية في تجديد علم الكلام: محمد إقبال ووحيد الدين خان أنموذجًا."

2- الزبير طهراوي، فارق خلف، "تجديد مناهج البحث في علم الكلام الإسلامي"، *حوليات جامعة الجزائر*.

3- عبد الجبار الرفاعي، "مقدمة في علم الكلام الجديد"، *hindawi.org*، تاريخ الدخول: [27-02-2025]، الساعة 4:19، تاريخ الخروج: 4:20.

4-عبد العاطي طلبة، "الدين في رداء الاهتمام بالإنسان في فكر عبد الجبار الرفاعي"، *hekma.org*، تاريخ الدخول: [25-04-2025]، الساعة 11:02، تاريخ الخروج: 11:08.

رابعًا: المجلات

1. مريم خليفة المبروك، "علم الكلام من مأزق التقليد إلى رهان التجديد: عبد الجبار الرفاعي نموذجًا"، *مجلة جامعة بني وليد للعلوم الإنسانية والتطبيقية*، مجلد 9، عدد 2، 2024.

2. عبد حميد عبد المنعم مدكور، "التجديد في العلوم الدينية: علم الكلام نموذجًا"، *مجلة أصول الدين*، مجلد 2، ماي 2017.

3. إدريس بن علي البارقي، "مفهوم علم الكلام الجديد ونشأته"، *مجلة العربية للدراسات الإسلامية والشرعية*.

4. سعيد عبيد، "علم الكلام الجديد كآلية من آليات إصلاح وتجديد الخطاب الديني"، *مجلة وجهات النظر*.

5. ناصر محمد عبد اللطيف مهدي، "المقياس الاستدلالي وأثره على الفكر الديني عند وحيد الدين خان"، *مجلة الدراسات العربية*.

6. نزار عبد الأمير تركي، "الإنسان الكامل عند مرتضى المطهري"، *مجلة الجامعة العراقية*، العدد [51ج3].

7. زهير كتفي، "علم الكلام من مسار التقليد إلى استئناف التجديد: العلامة شبلي النعماني مثالًا"، *مجلة معيار*.

8. بابا واعمر خضير، "علم الكلام الإسلامي ... رؤية تجديدية"، *مجلة إسهامات للبحوث والدراسات*.

9. الشيخ خليفي، "منهج التجديد في علم الكلام عند عبد المجيد النجار"، *مجلة جامعة الأمير عبد القادر*.

خامسًا: الرسائل الأكاديمية

1. نوسة السيد محمود السعيد، *تجديد علم الكلام ورؤية وجدانية سلوكية*، جامعة الأزهر، كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالمنصورة.

2. حامد فتحي حامد، *علم الكلام الجديد: المفاهيم والمنهج والموضوع – دراسة مقارنة مع علم الكلام التراثي*، دبلوم الفلسفة، جامعة القاهرة، بكالوريوس الإعلام، جامعة القاهرة

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

شكر و عرفان :.....ب

اهداء :.....ب

مقدمة: .....أ–ب

الفصل الأول.....8

المبحث الاول :مفاهيم وقضايا علم الكلام 12

–مفهوم علم الكلام لغة واصطلاحا.....12

–نشأة علم الكلام : 15

مناهج البحث في علم الكلام :.....19

قضايا علم الكلام [موضوعاته] : 22

مقاصد علم الكلام وغاياته :.....25

مناهضة علم الكلام : 26

المبحث الثاني: الفرق الكلامية الكبرى ودورها في تأسيس الحقل. 30

1–المعتزلة: 30

2–الأشاعرة :.....33

3–الخوارج:.....37

الفصل الثاني : علم الكلام الجديد 41

المبحث الأول :ماهية علم الكلام الجديد.....42

مفهوم علم الكلام الجديد: 42

نشأة علم الكلام الجديد :.....43

مناهج البحث في علم الكلام الجديد: 46

قضايا علم الكلام الجديد[موضوعاته] : 49

المبحث الثاني : المقارنة بين علم الكلام القديم والجديد 51

1-الاختلافات في الأهداف: 51
2- اختلافات في المنهج : 52
3 -اختلافات في الموضوع: 52
4-إختلافات في القبليات: 53
5 -الاختلاف في الاهتمام بين ماهو نظري وماهو عملي: 53
المبحث الثالث: التجديد في علم الكلام. 54
مفهوم التجديد: لغة واصطلاحا 54
دواعي التجديد: 55
ممثلي علم الكلام الجديد: 58
الفصل الثالث : مشروع عبد الجبار الرفاعي في تجديد علم الكلام : رؤية تحليلية ونقدية..... 63
المبحث الأول :التجديد في علم الكلام عند عبد الجبار الرفاعي :الإطار النظري والمنهجي. 64
مفهوم التجديد وأركانه عند عبد الجبار الرفاعي : 64
دوافع التجديد [بواعث] عند عبد الجبار الرفاعى : 67
المبحث الثاني :ملامح التجديد في علم الكلام المعاصر لدى عبد الجبار الرفاعي 69
-1التجديد في الموضوعات والمسائل: 69
-2التجديد في المنهج : 70
3-التجديد في الغاية : 71
4-التجديد في اللغة : 72
5-التجديد في المباني : 72
المبحث الثالث : قضايا تجديد علم الكلام عند عبد الجبار الرفاعي..... 73
-1الوحي والنبوة: 73
2-تراجع دور العقل وشيوع التقليد : 77
3- إهدار الروح والقلب والعاطفة : 78

المبحث الرابع :دراسة نقدية وتقويمية لفكرة تجديد علم الكلام عند عبد الجبار الرفاعي 80

1-تقييم نقدي للأسباب الكامنة وراء دعوات التجديد عند عبد الجبار الرفاعي: 80

2-نقد التجديد الكلامي على مستوي الموضوع :..... 81

تقييم ونقد منهج عبد الجبار الرفاعي في تجديد الفكري 82

خاتمة : 85

قائمة المصادر والمراجع 88

ملخص:

تتناول هذه المذكرة موضوعًا من أبرز الموضوعات الراهنة في الفكر الإسلامي، وهو تجديد علم الكلام، خاصة في ظل التحولات الفكرية والدينية التي يعيشها العالم المعاصر. وتكمن أهمية هذا الموضوع في كونه يسعى إلى تجاوز النمط التقليدي السائد في علم الكلام، عبر الانفتاح على مقاصد الدين الإنسانية وتوسيع دائرة الاشتغال الكلامي لتشمل الأسئلة الوجودية، والأنثروبولوجية، والمعرفية. وتُسلّط الدراسة الضوء على مشروع عبد الجبار الرفاعي بوصفه نموذجًا معاصرًا لعالم يسعى إلى تحديث الخطاب الديني من داخل علم الكلام، وذلك من خلال الانتقال من الجدل العقدي الكلاسيكي إلى خطاب يتأسس على النزعة الإنسانية ويراعي واقع الإنسان المعاصر وتطلعاته. وقد اعتمدت الدراسة على المنهج التحليلي المقارن في تتبّع المفاهيم وتحليل النصوص الكلامية القديمة والحديثة، إضافة إلى المنهج النقدي عند الحاجة لتقييم بعض أطروحات الرفاعي. وقد توزعت فصول البحث بين دراسة تحولات علم الكلام ومناهجه ومدارسه، واستكشاف موقع علم الكلام الجديد ضمن هذا السياق، مع تخصيص فصل كامل لتحليل مشروع عبد الجبار الرفاعي من حيث خلفياته النظرية والمنهجية. وتهدف هذه الدراسة في مجملها إلى إبراز الحاجة الملحّة لتجديد علم الكلام، من خلال مقاربة عقلانية وتأويلية تُعيد للدين بعده الإنساني، وتسهم في تجاوز الانغلاق المذهبي والصراعات العقدية الجامدة.

الكلمات المفتاحية:علم الكلام، التجديد، عبد الجبار الرفاعي، الخطاب الديني، الفكر الإسلامي المعاصر، النزعة الإنسانية، المقاربة التأويلية.

Abstract

This thesis addresses one of the most pressing topics in contemporary Islamic thought: the renewal of *Ilm al-Kalam* (Islamic theology), particularly in light of the intellectual and religious transformations shaping the modern world. The importance of this subject lies in its effort to move beyond the traditional framework of classical *Kalam*, by opening up to the humanistic aims of religion

and expanding theological discourse to engage with existential, anthropological, and epistemological questions,The study highlights the project of Abd al-Jabbar al-Rifa’i as a contemporary model of a scholar working to modernize religious discourse from within the domain of *Kalam*, transitioning from classical doctrinal debates toward a discourse rooted in humanism and attentive to the realities and aspirations of modern humanity.

The research adopts a comparative analytical method to trace key concepts and analyze theological texts—both classical and contemporary—alongside a critical approach when evaluating al-Rifa’i's arguments. The chapters of the study explore the transformations, methods, and schools of *Kalam*, situating the emergence of "New Kalam" within this context. A dedicated chapter analyzes al-Rifa’i's project, focusing on its theoretical and methodological foundations.

Ultimately, the study seeks to emphasize the urgent need for renewing *Ilm al-Kalam* through a rational and hermeneutical approach that restores the human dimension of religion and helps overcome sectarian rigidity and stagnant doctrinal conflicts.

Keywords:*Ilm al-Kalam*, renewal, Abd al-Jabbar al-Rifa’i, religious discourse, contemporary Islamic thought, humanism, hermeneutical approach.